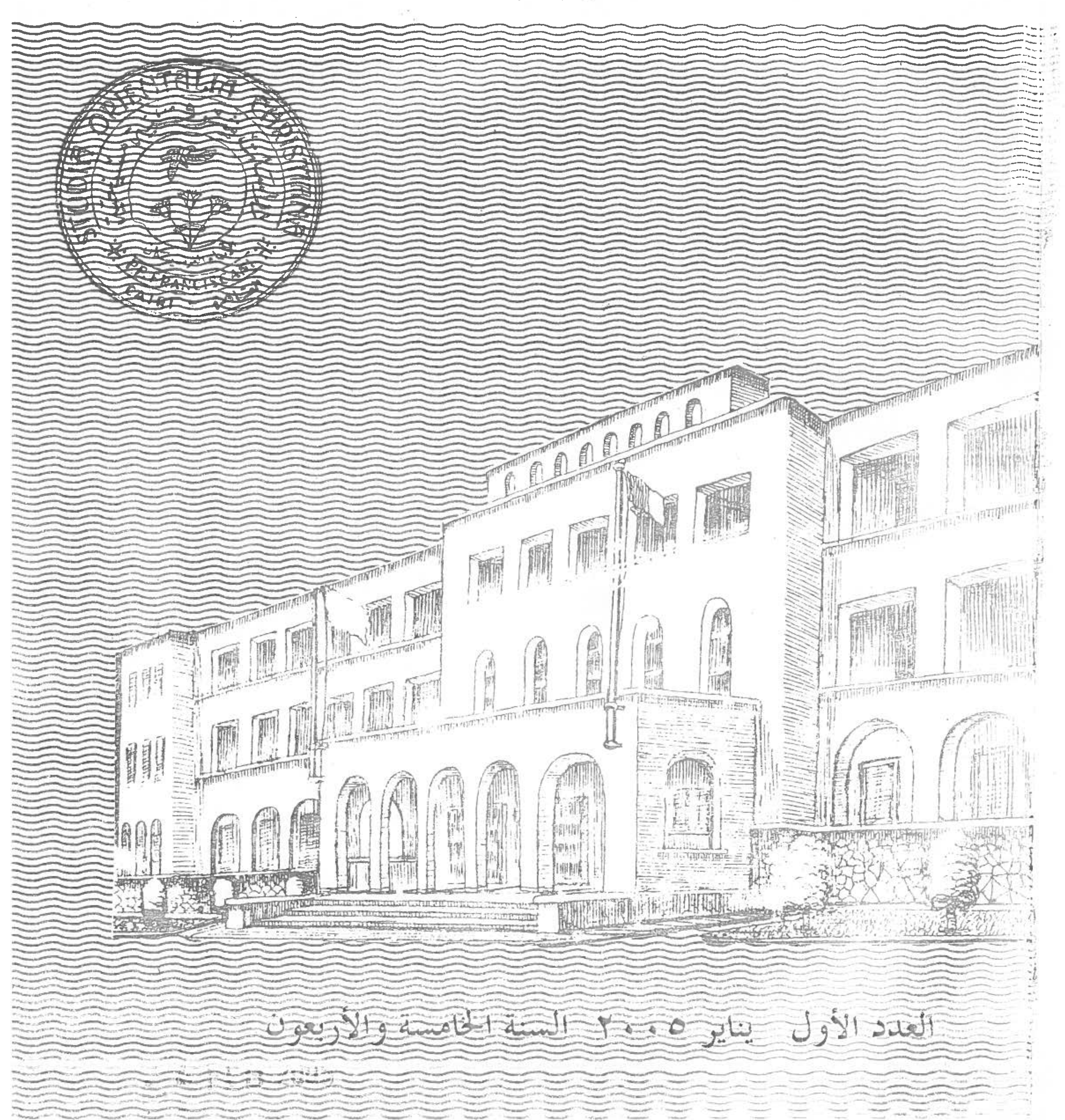
صديق الكاهن

مجلة تصدرها كلية العلوم الإنسانية واللاهوتية



العدد الأول يناير ٢٠٠٥ السنة الخامسة والأربعون

مؤلِّفو سير البيعة من «سير البيعة»

تقديم الأخ وديع الفرنسيسكانيّ

(ملحوظة: قُدِّمَت هذه الدراسة في الندوة السادسة للتراث العربيّ المسيحيّ، سنة ١٩٩٨).

أوّلاً: مداخل تمهيديّة

٣٢) دراسات عن «سير البيعة» وفهارس المخطوطات

١) كامل صالح نخلة، «كتاب تاريخ وجداول بطاركة الاسكندرية القبط وجدول علمّ جامع بين اقوال المتقدّمين» (لجنة التاريخ القبطي، تاريخ الأمّة القبطيّة، الحلقة الرابعة)، القاهرة، ١٩٤٣.

يُعتبَر هذا الكتاب المحاولة الأولى، لتحديد أسماء مؤلّفي سير البيعة، بالاعتماد على «سير البيعة» (ويُسمّى أيضًا «تاريخ بطاركة الكنيسة القبطيّة»، أو باختصار «تاريخ البطاركة») ذاتها. وكما سنُظْهِر وقع المؤلّف في بعض الأخطاء التاريخيّة، منها الخلط بين شخصيّتي الأنبا ميخائيل الدمراويّ أسقف تِنِّيس، والشمّاس أبي حبيب ميخائيل الدمنهوريّ، الذي يجعل منه شخصيّتين. وهنا يجب التنويه إلى أنّ الدارس اعتمد على مصادر مخطوطة، بجانب ما كان مطبوعًا مِن السير. ومِن الجدير بالملاحظة أنّه لا ينسب إلى سويرُس تأليف سيرة أيّ بطريرك. ونرمز إلى هذا الكتاب باسم مؤلّفه: كامل ص. ن.

٢) Georg Graf, *Geschichte der christlichen arabischen Literatur,* Band 2 *(Studi e Testi,* 133), Città del Vaticano, 1947, p. 301-306.

يذكر الدارس مجهودات سويرُس بن المقفّع في كتابة المقدّمات وترجمة المصادر القبطيّة واليونانيّة، بمساعدة آخرين، وأهمّهم الشمّاس ميخائيل بن بدير الدمنهوريّ. ويتابع الدارس التأكيد أنّ عمل سويرُس أكمله ميخائيل أسقف تِنِّيس (سنة ١٠٥١؛ عندما نورد تاريخًا بدون تعيين، نقصد به تاريخًا حسب التقويم الميلاديّ)، الذي أرّخ للبطاركة بين السنوات ٨٨٠-١٠٤٦. وفي سنة ١٠٨٨ قام موهوب بن منصور بن مفرّج الشمّاس الاسكندرانيّ بتجميع السير السابقة، وأضاف سيرة البطريرك خرِسْتوذولُس/٦٦ (١٠٤٧-١٠٧٧). وقام يوحنّا بن صاعد بن القلزميّ بكتابة سيرة كيرلُّس الثاني/٦٧، وميخائيل/٦٨، ومقاره/٦٩. وأضاف مرقس بن زرعه سير البطاركة: غبريّال بن تريك، وميخائيل الرابع، ويوحنّا الخامس. وبعض هذه المعلومات صحيح، والآخر يحتاج إلى تصويب. ومن الجدير بالملاحظة أنّ الدارس لا ينسب إلى سويرُس تأليف سيرة أيّ بطريرك. ونرمز لهذه الدراسة بالكلمات G. Graf, *GCAL*, 2.

٣) F. Rofail Farag,"The Technique of Research of a Tenth-Century Christian Arab Writer, Severus Ibn al-Muqaffa", *le Muséon* 86 (1993), p. 37-66.

يتبنّى الدارس الرأي التقليديّ، الذي يرى في سويرُس بن المقفّع المؤلّف لـ «سير البيعة».

٤) David W. Johson, "Further remarks on the Arabic history of the atriarchs of Alexandria", *Oriens Christianus* 61(1977), p.103-116.

يمثّل هذا المقالُ المحاولةَ الأولى لتحديد دور موهوب بن منصور بن مفـرّج كجامع ومكمِّل لـ «سير البيعة»، بدون أنْ يتخلّى عن الرأي التقليـديّ، الذي يعطي لسوريُس دورًا في جَمْع السير.

٥) Aziz S. Atiya, "Patriarchs, Dates and Succession of ", *the Coptic Encyclopedia* 6 (1991), p. 1913-1920.

نعتمد على هذا المقال في إيراد تاريخ فترة كلّ بطريرك. وللمؤلّف مقال آخر في نفس الموسوعة (٧، ص ٢١٠٠-٢١٠)، يتبنّى فيه الرأي التقليديّ. ويخلط الدارس بين شخصيّة الشمّاس ميخائيل بن بدير الدمنهوريّ وشخصيّة الأنبـا ميخائيل الدمراويّ أسقف تِنّيس (انظر كامل ص. ن.).

٦) Johannes Den Heijer, *Mawhub Ibn Mansur Ibn Mufarrig et l'historiographie copto-arabe*. Étude sur la composition de l'Histoire des Patriarches d'Alexandrie (CSCO, 513, Subsidia, 83), Louvain, 1989.

بالاعتماد على المخطوطات المذكورة، والطبعات، والدراستين الســابقتين، ودراسات أخرى، يعالج هذا الكتاب موضوع مــؤلّفي «ســير البيعــة»، والمصادر الأصليّة لها، ودور موهوب بن منصور بن مفرِّج في جَمْع السير، وكتابة سيرة اثنين من البطاركة. ويعيد هذا الكتاب الحقوق إلى أصحابها، ويُظهِر أنّ سويرُس لا دور، له لا في ترجمة السير، ولا في جَمْعهــا، ولا في إكمالها. وللمؤلِّف دراسات سابقة حول الموضوع في أماكن أخرى، منها مقالتان في «الموسوعة القبطيّة» (٤، ص ١٢٣٨-١٢٤٢؛ ٥، ص١٥٧٣-١٥٧٤). ونرمز إلى الدراسة باسم مؤلّفها: J . Den Heijer .

٧) Johannes Den Heijer, "Miha'il évèque de Tinnis et sa contribution à *l'Histoire des Patriarches d'Alexamdrie*", Samir

Kh., ed., *Actes du trosième congrès internationale d'études arabes chrétiennes* (Louvain-la-Neuve, septembre, 1988), *Parole de l'Orient* 16 (1990-1991), p. 179-188.

تتركّز هذه الدراسة على دور ميخائيل أسقف تِنّيس في كتابة بعض سير البطاركة.

٨) Johannes Den Heijer, "Coptic Historiography in the Fatimid, Ayyubid and Early Mamluk Periods", *Medieval Encounters* 2 (1996), p. 67-98.

تتركّز هذه الدراسة في قسمها الأوّل (ص ٦٩-٧٧) على دور موهوب بن مفرِّج في جَمْع سير البطاركة.

٩) الأخ وديع الفرنسيسكانيّ، "مقدّمة في الأدب العربيّ المسيحيّ للأقباط"، «مجموعة دراسات شرقيّة مسيحيّة» ٢٩-٣٠ (١٩٩٦-١٩٩٧)، ص ٤٤١-٤٩٢ (ترقيم عربيّ مِن اليمين إلى الشمال، ص ١-٥٠؛ ظهرت المقالة كذلك في: «المسرّة» ٨٤ (بيروت، ١٩٩٨)، ص ٢٠٣-٢٢٤، ٣٧٤-٣٨٧؛ «ليساجي»، الأعداد ٢١٣٣-٢١٤٤، ٤٢-٤٣ (١٤ نوفمبر ١٩٩٩-٢٠ يناير ٢٠٠٠).

تتعرّض المقالة لمختلف كُتّاب «سير البيعة»، وليس مِن بينهم سويرُس بن المقفّع، وهي المقالة العربيّة الأولى التي توضِّح هذا الأمر.

١٠) الأخ وديع الفرنسيسكانيّ، "الأنبا ميخائيل أسقف تِنّيس مؤرِّخ الكنيسة القبطيّة في العصر الفاطميّ الأوّل"، «مجموعة دراسات شرقيّة مسيحيّة» ١٣ (١٩٩٨)، ص ٢٦١-٢٩٢ (ترقيم عربيّ مِن اليمين إلى الشمال، ص١-٣٠؛ ظهرت المقالة كذلك في: «أسبوع القبطيّات الثامن»، القاهرة، كنيسة العذراء بروض الفرج، ١٩٩٨، ص ٨٨-١٠٧.

تتركّز المقالة حول دور الأنبا ميخائيل في كتابة بعض سير البطاركة.

١١) مرقس سميكة، «فهارس المخطوطات القبطيّة والعربيّة الموجودة بالمتحف القبطيّ والدار البطريركيّة وأهمّ كنائس القاهرة والاسكندريّة وأديرة القطر المصريّ»، جزءان، القاهرة، ١٩٣٩-١٩٤٢، ونرمز إليه بحرف س، متبوعًا بالرقم العامّ، لا الصفحة.

١٢) Georg Graf, *Catalogue de manuscrits arabes chrétiens conservés au Caire* (*ST*,63), Città del Vaticano, 1934 ونرمز إليه بحرف ج متبوعًا بالرقم العامّ، لا الصفحة).

١٣) Ugo Zanetti, *Les Manuscrits de Dair Abu Maqar (Cahiers d'Orientalisme,* 11), Genève, 1986 ونرمز إليه بحرف ز).

٢) مخطوطات «سير البيعة»

بالاعتماد على G. Graf, *GCAL*, 2, p. 303-603; J. Den Heijer, p. 10-27 نقدّم أوّلاً مخطوطات «سير البيعة» حسب تسلسلها الزمنيّ، ولا نذكر المخطوطات التي تحوي خبر بطريرك واحد. ونلاحظ أنّ أقدّم مخطوط يعود إلى سنة ١٢٦٦ (التاريخ الذي يرد بدون تعيين نقصد به التاريخ الميلاديّ، أمّا تواريخ تقويم الشهداء فترد متبوعة بحرف «ش»، وتقويم الهجرة بحرف «هـ»، هذا إنْ لم يكن التقويمان مسبوقين بالشهر الدالّ عليهما)، أيْ ليس هناك مخطوطات من زمن المؤلّفين.

١) هَمْبورج، المكتبة الوطنيّة Hamburg, Stadtbibliothek شرقي ٤/٢٤ (٣٠٤) (نسخ ١٢٦٦)، ويضمّ أخبار البطاركة ١-٢٦ (مِن القدّيس مرقس إلى خائيل الأوّل: ٧٤٤-٧٦٧).

٢) القاهرة، البطريركيّة القبطيّة، تاريخ ١٢ (سميكة ٢٦٩؛ جراف ١٩١) (نسخ ١٢٧٥)، ويضمّ أخبار البطاركة ٦٦-٧٢ (مِن خرِسْتوذولُس: ١٠٤٧-١٠٧٧ إلى يوحنّا الخامس: ١١٤٧-١١٦٧).

٣) القاهرة، المتحف القبطيّ، تاريخ ١ (سميكة ٨٤؛ جراف ١٣٤) (نسخ قرن ١٣/١٤، ١٨/١٩)، يضمّ أخبار البطاركة ١-١١٢ (مِن القدّيس مرقس إلى كيرلُّس الخامس: ١٨٥٤-١٨٦١).

٤) پاريس عربيّ ٣٠٣ (بدون تاريخ، ولكنه يعود إلى قرن ١٤)، ويضمّ أخبار البطاركة ٤٩-٦٥ (مِن مرقس الثاني: ٧٩٩-٨١٩ إلى شنوده الثاني: ١٠٣٢-١٠٤٦)، وهو تكملة لمخطوط هَمْبورج رغم أنّه لناسخ آخر).

٥) پاريس عربيّ ٣٠١-٣٠٢ (نسخ قرن ١٥). يضمّ المخطوط الأوّل أخبار البطاركة ١-٥٢ (مِن القدّيس مرقس إلى يوساب الأوّل: ٨٣٠-٨٤٩)؛ والثاني ٥٣-٧٥ (مِن خائيل الثاني: ٨٤٩-٨٥١ إلى كيرلُّس الثالث: ١٢٣٥-١٢٤٣). هذان المخطوطات هما أساس نشرتَي إِڤِتْس وسيبولد/ك (انظر ٢) طبعات «سير البيعة»).

٦) القاهرة، البطريركيّة القبطيّة، تاريخ ١٤ (سميكة ٦٠١؛ جراف ٥٨٠) (نسخ قرن ١٥)، ويضمّ أخبار البطاركة ١-٥٥ (مِن القدّيس مرقس إلى شنوده الأوّل: ٨٥٨-٨٨٠).

٧) الاسكندريّة، المكتبة البطريركيّة، تاريخ ٣ (نسخ ١٦٩٢)، ويضمّ أخبار البطاركة ١-٧٤ (مِن القدّيس مرقس إلى يوحنّا السادس: ١١٨٩-١٢١٦).

٨) فَتكان عربيّ ٦٢٠ (نسخ قرن ١٧)، ويضمّ أخبار البطاركة ١-٧٤ (مِن القدّيس مرقس إلى يوحنّا السادس: ١١٨٩-١٢١٦).

٩) باريس عربيّ ٣٠٦ (نسخ قرن ١٧)، ويضمّ أخبار البطاركة ٧٥-٩٩ (مِن كيرلُس الثالث: ١٢٣٥-١٢٤٣ إلى يوحنّا الخامس عشر: ١٦١٩-١٦٣٤).

١٠) باريس عربيّ ٥٣ (نسخ قرن ١٧)، ويضم أخبار البطاركة ١-٣٨ (مِن القدّيس مرقس إلى بنيامين الأوّل: ٦٢٢-٦٦١).

١١) القاهرة، البطريركيّة القبطيّة، تاريخ ١٣ (سميكة ٦٤٤؛ جراف ٥٠٣) (نسخ ١٧١٧)، ويضمّ أخبار البطاركة ١-٥٥ (مِن القدّيس مرقس إلى شنوده الأوّل: ٨٥٨-٨٨٠).

١٢) البحر الأحمر، دير الأنبا أنتونيوس، تاريخ ٦ (نسخ ١٧٢٨)، ويضمّ أخبار البطاركة ١-٤٥ (مِن القدّيس مرقس إلى ثيئودورُس: ٧٣١-٧٤٣).

١٣) لندن، المكتبة البريتانيّة، شرقي ١٣٣٨ (نسخ ١٧٣٦)، ويضمّ أخبار البطاركة ١-٧٦، ٨٧، ١٠٣-١٠٤.

١٤) فَتكان عربيّ ٦٨٦ (نسخ ١٧٣٧)، ويضمّ أخبار البطاركة ١-١٠٥ (مِن القدّيس مرقس إلى يوحنّا السابع عشر: ١٧٢٦-١٧٤٥).

١٥) القاهرة، البطريركيّة القبطيّة، تاريخ ٩١ (نسخ ١٧٤٣)، ويضمّ أخبار البطاركة ٥١-٧٦ (مِن سيمون الثاني: ٨٣٠ إلى أثناسيوس الثالث: ١٢٥٠-١٢١٦).

١٦) البحر الأحمر، دير الأنبا پولا، تاريخ ٣ (نسخ ١٧٥٩)، ويضمّ أخبار البطاركة ١-٧٤ (مِن القدّيس مرقس إلى يوحنّا السادس: ١١٨٩-١٢١٦).

١٧) لندن، المكتبة البريتانيّة، إضافيّ ٢٦ (نسخ ١٧٨١)، ويضمّ أخبار البطاركة ١-٧٦ (مِن القدّيس مرقس-أثناسيوس الثالث: ١٢٥٠-١٢٦١).

١٨) القاهرة، المركز الفرنسيسكانيّ ٣٠٦ (نسخ ١٧٩٠)، ويضمّ أخبار البطاركة ٤٢-٧٦ (مِن سيمون الأوّل: ٦٨٩-٧٠١ إلى أثناسيوس الثالث: ١٢٥٠-١٢٦١).

١٩) وادي النطرون، دير الأنبا مقار، سير ٤٩ (زنتّي ٤١٥) (نسخ قرن ١٨)، ويضمّ أخبار البطاركة ١-٤٦ (مِن القدّيس مرقس إلى خائيل الأوّل: ٧٤٤-٧٦٧).

٢٠) القاهرة، البطريركيّة القبطيّة، تاريخ ١١ (نسخ قرن ١٨)، ويضمّ أخبار البطاركة ١-٦٦ (مِن القدّيس مرقس إلى خرِسْتوذولُس: ١٠٤٧-١٠٧٧).

٢١) القاهرة، البطريركيّة، تاريخ ٩ (نسخ قرن ١٨)، ويضمّ أخبار البطاركة ٣٩-٦٤ (مِن أغاثون: ٦٦١-٦٧٧ إلى زخارياس: ١٠٠٤-١٠٣٢).

٢٢) جيتِنْجِن Göttingen عربيّ ١١١ (نسخ قرن ١٨)، ويضمّ أخبار البطاركة ٥٢-٦٦ (مِن يوساب الأوّل: ٨٣٠-٨٤٩ إلى خرِسْتوذولُس: ١٠٤٧-١٠٧٧).

٢٣) القاهرة، البطريركيّة القبطيّة، تاريخ ١٠ (نسخ قرن ١٨/١٩)، ويضمّ أخبار البطاركة ٦٥-٧٤ (مِن شنوده الثاني: ١٠٣٢-١٠٤٦ إلى يوحنّا السادس: ١١٨٩-١٢١٦).

٢٤) توبِنْجِن Tübingen عربيّ ١٩٢ (نسخ قرن ١٨/١٩)، ويضمّ أخبار البطاركة ١-٥٤ (مِن القدّيس مرقس إلى قزما الثاني: ٨٥١-٨٥٨).

٢٥) القاهرة، المركز الفرنسيسكاني، ٩٦ (نسخ ١٨٧٨)، ويضمّ أخبار البطاركة ٥٦-٧٤ (مِن خائيل الثالث: ٨٨٠-٩٠٧ إلى يوحنّا السادس: ١١٨٩-١٢١٦).

٢٦) باريس عربيّ ٤٧٧٢ (نسخ قرن ١٩)، ويضمّ أخبار البطاركة ١-٥٥ (مِن القدّيس مرقس إلى شنوده الأوّل: ٨٥٨-٨٨٠).

٢٧) باريس عربيّ ٤٧٧٣ (نسخ قرن ١٩)، ويضمّ أخبار البطاركة ١-٥٥ (مِن القدّيس مرقس إلى شنوده الأوّل: ٨٥٨-٨٨٠).

٢٨) القاهرة البطريركيّة القبطيّة، لاهوت ٢٨٧ (نسخ قرن ١٩)، ويضمّ أخبار البطاركة ٧٧-١٠٣ (مِن يوحنّا السابع: ١٢٦٢-١٢٦٨ إلى يوحنّا السادس عشر: ١٦٧٦-١٧١٨).

٢٩) لندن، المكتبة البريتانيّة شرقي ١٠١١ (نسخ قرن ١٩)، ويضمّ أخبار البطاركة ٧٧-١٠٨ (مِن يوحنّا السابع: ١٢٦٢-١٢٦٨ إلى مرقس الثامن: ١٧٩٦-١٨٠٩).

٣٠) القاهرة، البطريركيّة القبطيّة، تاريخ ١٥ (نسخ قرن ١٩)، ويضمّ أخبار البطاركة ١-١١٣ (مِن القدّيس مرقس إلى يوحنّا التاسع عشر: ١٩٢٨-١٩٤٢).

٣١) البحر الأحمر، دير الأنبا أنتونيوس، تاريخ ٧ (بدون تاريخ)، ويضمّ أخبار البطاركة ١-٥٠ (مِن القدّيس مرقس إلى يعقوب: ٨١٩-٨٣٠).

٣٢) البحر الأحمر، دير الأنبا أنتونيوس، تاريخ ٨ (بدون تاريخ)، ويضمّ أخبار البطاركة ١-٤٦ (مِن القدّيس مرقس إلى خائيل الأوّل: ٧٤٤-٧٦٧).

للمقال بقية

صديق الكاهن

مجلة تصدرها كلية العلوم الإنسانية واللاهوتية



العدد الثاني أبريل ٢٠٠٥ السنة الخامسة والأربعون

مؤلِّفو سير البيعة من «سير البيعة»

(٢)

تقديم الأخ وديع الفرنسيسكانيّ

٣) طبعات «سير البيعة»

نقدّم طبعات «سير البيعة» حسب ظهورها، ونذكر المخطوطات التي تعتمد عليها الطبعة.

١) Severus Ben El Moqaffaº, *Historia Patriarcharum Alexandrinorum*. Edidit Chr. Fred. Seybold (*Corpus Scriptorum Christianorum Orientalium*, 52, 59, Scriptores Arabici, 3, 9), Beryti, Parisiis, Lipsiae, 1904-1910 (réimpression anastatique, Louvain, 1954), I: p. 1-120; II: p. 121-203.

عنوان الجزء الأوّل العربيّ (ص ٢): «كتاب سير الآباء البطاركة».

وعنوان الجزء الثاني العربيّ (ص ١٢١) : «الجزء الثاني من سير البيعة المقدّسة وهو ستّة سير وأربعة عشر بطركًا».

ينشر سيبولد، في الجزء الأوّل، أخبار البطاركة من القدّيس مرقس إلى بنيامين/٣٨ (٦٢٢-٦٦١)؛ والثاني من أغاثون/٣٩ (٦٦١-٦٧٧) إلى يوساب الأوّل/٥٢ (٨٣٠-٨٤٩). ويتوزّع الحديث عن البطاركة على ٢٠ سيرة. ولا تحوي النشرة أيّة مقدّمة لها، ولكن الناشر، في الصفحة الأخيرة (ص ٣٠٢)، بعد تقديم قائمة المخطوطات التي يعتمد عليها،

يكتب باللغة اللاتينيّة ما ترجمته: «سيجرى الحديث باستفاضة عن هذه المخطوطات في المقدّمة». بيد أنّ هذه المقدّمة لم ترَ النور أبـدًا. وهـذه قائمة المخطوطات التي يذكرها: باريس ١٠١-٣٠٢؛ باريس ٤٧٧٢؛ باريس ٤٧٧٣؛ توبنْجِن؛ لندن، المكتبة البريتانيّة، ١٤٧٧؛ فَتِكان ٦٢٠؛ باريس ٣٠٣؛ هَمْبورج؛ جيتْنجِن عربي ١١١. ويبدو أنّ الناشر يـورد في النصّ أوراق مخطوطتَي باريس ٣٠١-٣٠٢، ولكنه لا يوضّح ذلك. ومن الملاحظ أنّ في النشرة أخطاء، وكثير من الأعلام بدون تنقـيط.

ونرمز للنشرة باسم: سيبولد/ك.

٢) *History of the Patiarchs of the Coptic Church of Alexandria*. Arabic Text edited, translated and annotated by B. Evetts (*Patrologia Orientalis*, 1, 5, 10), Paris, 1907-1912: I: p. 99-214, 381-518; V: p. 1-215; X: p. 357-155.

عنوان الجزء الأوّل (١: ص ١٠٥): «سير الآباء البطاركة».

عنوان الجزء الثاني (٥: ص ٣): «الجزء الثاني من سير البيعة المقدّسة وهو ستّ سير وأربعة عشر بطركًا».

ينشر إِڤتس، ويترجم إلى اللغة الإنجليزيّة، تحت النصّ العـربيّ، أخبـار البطاركة من القدّيس مرقس حتّى يوسـاب الأوّل/٥٢ (٨٣٠-٨٤٩). ويتوزّع الحديث على البطاركة على ٢٠ سيرة. وتحوي النشرة مقدمّـة قصيرة باللغة الفرنسيّة (١: ص١٠٣-١٠٤)، يعلن فيها الناشر أنّ الجزء الأوّل من النصّ هو مِن نَظْم compilation سويرُس بـن المقفّـع. ثمّ يؤكّد الدارس أنّ السير التي مِن القرن السابع هي مِن وَضْـع مـؤلّفين

معاصرين، مثل يوحنّا الشمّاس في عهد البطريـرك خائيـل الأوّل/٤٦ (٧٤٤-٧٦٧)، وجرجس الأرشيدياكون وكاتب البطريـرك سـيمون الثاني/٥١ (٨٣٠). ويَعِد إِفْتْس بدراسة، في نهاية العمل، عـن مصـادر الكتاب وأمور أخرى، ولكن هذه الدراسة لم ترَ النور أبدًا. وفي نهايـة المقدّمة يورد الناشرُ المخطوطات التي يعتمد عليها، وهي باريس ٣٠١-٣٠٢، وفي الحواشي يقدّم الفروق بين المخطوطـات: لنـدن، إضـافيّ ٢٦٦٠٠، شرقيّ ١٣٣٨؛ فَتكان ٦٢٠ و٦٨٦؛ باريس ٤٧٧٣. ويورد الناشرُ، على جانبَي النصّ، صفحات مخطوطتَي بـاريس ٣٠١-٣٠٢. وتُعتبَر نشرة إِفْتْس أدقّ من نشرة سيولد/ك، ولاسـيمّا في مـا يخـصّ الأعلام. ونرمز لهذه النشرة باسم: إِفْتْس، يليه رقم المجلّد.

٣) Severus Ibn al Muqaffa°, *Alexandrinische Patriarchengeschichte von S. Marcus bis Michael I 61-767*, nach der ältesten 1266 geschribenen Hamburger Handschrift. Im arabischen Urtext herausgegeben von Christian Friedrich Seybold, Hamburg, 1912.

صفحة العنوان (كما وردت حرفيًا): «الجزو الاول من كتـاب سـير البطاركة الاسكندرانيين من ماري مرقس حتي خاييل من سنة ٦١ حتى ٧٦٧ لساويرس بن المقفع». نقله وطبعه من الخط الاقـدم الهـامبورغي المنسوخ سنة ١٢٦٦ مسيحية خريستيان فريدرخ سيبلد الطوبينكي، طبع بدار الفنون طوبينكن المحروسة بمطبعة جرجس شنورلن سنة ١٩١٢.

عنوان النصّ (ص ١): «كتاب سير الابا القديسين البطاركة وهو الجزو الاول يتضمن هدا الجزو ستة واربعين بطرك».

خاتمة النصّ (ص ٢٠٨): «انتجز بمعو [نـ] ـة الربّ الاله نسخ هـذا الكتاب. وهو الجزو الاول من سير البطاركة من مـرقس الانجيلـى الى خايال. ستة واربعين بطركا. وكان الفروغ منه يوم السبت رابع عشـر شهر مسري سنة اتنين وتمانين وتسعماية للشهدا الاطهار بسـلام مـن الرب امين. في الساعة التامنة منه.

وبعد ذلك يشير الناشر إلى إضافة بمداد مختلف نصّها: «نقل من القبطى إلى العربي بسلام من الرب امين قوبل على حكم الصحة».

في هذا الكتاب ينشر سيبولد نصّ مخطوط هَمْبورج، الذي يضمّ أخبـار ٤٦ بطريركًا. وتنقص سيرة القدّيس مرقس (ص ١١)، ويشـير إليهـا النصّ بهذه الكلمات: «الاسطرية الاوله وهى السيرة الاوله من سير البيعة سيرة القديس مرقس الانجيلى تلميد يسوع المسيح قـد فـرغ (ع) ان تكتب في كتاب غير هدا مع جملة سير مكمله». وبعد المقدّمات تتوافق أرقامُ السير مع أرقام البطاركة حتّى السيرة ٢٠ (أثناسيوس الكبير)، وبعد ذلك تسقط كلمة «سيرة» قبل الرقم حتّي يوحنّا الثالث/٤٠. ثمّ تلـي السيرة السادسة عشر، وتشمل: إسـحاق/١٤، وسـيمون الأوّل/٤٢. وتليها «السيرة السابعة عشرين [هكذا] من سير البيعـة المقدّسـة»، وتشمل: ألِكْسَندرُس الثاني/٤٣، وقزما الأوّل/٤٤، وثيئـودورُس/٤٥. وتأتي أخيرًا «السيرة السابعة عشر للبيعة المقدّسة وهى السادس والاربعين خاييل البطريرك«. وهكذا نرى الاضطراب في تسلسل أرقـام السـير.

واعتقد أنّ نصّ هذا المخطوط سابق لعمل يوحنّا بن صاعد بن القلزمـيّ (انظر ثانيًا: ١١) يوحنّا بن صاعد). وقد سقط مِن النصّ، بسبب ضياع ورقة، نهاية سيرة بطرس الأوّل، وسيرة أكيلاّس، وبداية سيرة ألِكْسَنْدرُس الأوّل.

تنتهي الطبعة بمقدّمة ألمانيّة (p. V-IX) بقلم R. Münzel.
ومن الملاحظ أنّ الناشر وضع اسم سويرُس بن المقفّع في عنوان الكتاب، رغم غيابه كلّ الغياب عن النصّ. ولم يلفت هذا الأمر نظر كامل صالح نخلة وجراف أو غيرهما (انظر ٣) دراسات عن «سير البيعة»)، رغم معرفتهما بالنشرة، إلى أن ظهرت دراسة يوهنّس دن هير. ونرمز لهذه النشرة باسم: سيبولد/هـ (تمييزًا لها عن نشرة سيبولد/ك).

٤) *History of the Patriarchs of the Egyptian Church, known as the History of the Holy Church by Saw^rus Ibn al-Mu›affa°*, vol.2. Translated and annotated by Aziz Suryal Atiya , Yasså °Abd al-Mas^•, O.H.E. Khs.-Burmester, Le Caire, 1943, 1948, 1959.

«تاريخ بطاركة الكنيسة المصريّة المعروف بسير البيعة المقدّسة لساويرس بن المقفع أسقف الأشمونين»، المجلّد الثاني. قام على نشره يسّى عبدالمسيح، عزيز سوريال عطيه، أسولد برمستر (مطبوعات جمعيّة الآثار القبطيّة، قسم النصوص والوثائق)، القاهرة، ١٩٤٣-١٩٥٩.

في هذه النشرة لدينا أخبار ١٦ بطريركًا من خائيل الثاني/٥٣ (٨٤٩-٨٥١) إلى ميخائيل الرابع/٦٨ (١٠٩٢-١١٠٢). والحديث عن هؤلاء البطاركة موزّع على هذه السير: ٢١: خائيل الثاني، قزما الثاني؛ ٢٢: شنوده الأوّل؛ ٢٣: خائيل الثالث، غبريّال الأوّل، قزما الثالث، مقاره الأوّل، ثيئوفانيوس، مينا الثاني؛ ٢٤: أبرام بن زرعه، فيلوثيئوس؛ ٢٥: زخارياس، شنوده الثاني؛ ٢٦: خرِسْتوذولُس، كيرلُّس الثاني؛ ٢٧: ميخائيل الرابع (تكملة السيرة ٢٧ ترد في المجلّد الثالث، انظر أسفل، رقم٤).

في «تصدير ١» يصرّح الناشرون أنّه بعد نشر سائر سير البيعة، ستظهر «فهارس مفصّلَة لأسماء الأعلام والأماكن وغيرها». ولكن هذه الفهارس

لم ترَ النور بَعْد (ولكن انظر أسفل، رقم ٦). بعد ذلك نعرف أنّ النشرة تعتمد على مخطوط القاهرة، المتحف القبطيّ، تاريخ ١ (سميكة ٨٤؛ جراف ١٣٤) (نسخ قرن ١٣ وتواريخ لاحقة) «بعد مراجعة على مخطوطة أحدث منها عهدًا ومحفوظة بمكتبة الدار البطريركيّة تحت رقم ١٣ تاريخ» (سميكة ٦٤٤؛ جراف ٥٠٣) (نسخ ١٧١٧). وفي «تصدير ٢» يشير الناشرون إلى الاستعانة بمخطوطة الاسكندرية، البطريركيّة القبطيّة، تاريخ ٣ (نسخ ١٦٩٢). ولا يتعرّض الناشرون لموضوع مؤلّفي سير البطاركة. ونرمز لهذه النشرة بكلمة «تاريخ» ، ٢.

٥) *History of the Patriarchs of the Egyptian Church, known as the History of the Holy Church by Saw^rus Ibn al-Mu›affa°*, vol 3. Translated and annotated by Antoine Khater, O.H.E. Khs.-Burmester, Le Caire, 1968. 1970.

«تاريخ بطاركة الكنيسة المصريّة المعروف بسير البيعة المقدّسة لساويرس بن المقفع أسقف الأشمونين»، المجلّد الثالث. قام على نشره أنطون خاطر، أزولد بورمستر (مطبوعات جمعيّة الآثار القبطيّة، قسم النصوص والوثائق، ١١-١٣)، القاهرة، ١٩٦٨-١٩٧٠.

تشمل النشرة أخبار مجموعة كبيرة من البطاركة من مقاره الثاني/٦٩، وهو تتمّة السيرة السابعة والعشرين، حتّى كيرلّس الخامس/١١٢ (١٨٧٤-١٩٢٧). ومن الملاحظ أنّه بعد السيرة ٢٧، يرد الحديث عن البطاركة، بدون تقسيمه إلى سير؛ ممّا يظهر أنّه بعد عمل يوحنّا بن صاعد بن القلزميّ لم يتدخّل أحد في تقسيم النصّ على سير. وتعتمد النشرة على مخطوط القاهرة، المتحف القبطيّ، تاريخ ١ (سميكة ٨٤؛ جراف ١٣٤) (نسخ قرن ١٣ وتواريخ لاحقة)، مع مقارنة بمخطوط باريس ٣٠٢، والاسكندريّة. ولا يتعرّض الناشران لموضوع مؤلّفي

السير. ومن الملفت للنظر أنّ النشرة تضمّ بطاركة عاشوا بعد عصر سويروس بن المقفّع، ومع ذلك يرد اسمه في العنوان. ونرمز لهذه النشرة بكلمة «تاريخ»، ٣.

٦) «تاريخ البطاركة للأنبا ساويرُس بن المقفّف أسقف الأشمونين». إعداد وتعليق الراهب صموئيل السريانيّ (الأنبا صموئيل أسقف شبين القناطر)، طبعة خاصّة للدارسين بمعهد الدراسات القبطيّة، القاهرة، ١٩٨٤.

إنّها طبعة مصوَّرَة عن طبعة إِفِتْس، بدون الإشارة إلى ذلك، بطريقة القصّ واللصق، بعد مسح الحواشي ورمز المخطوط على الجانبين، وإحداث ترقيم جديد، أمّا التعليقات، وهي قليلة، فمكتوبة بخطّ اليد. وفي مقدّمة، بخطّ اليد كذلك، يؤكّد الناشر: «ذكر الأنبا ساويرُس أنّه جمع سير البطاركة مِن دير أبو مقار ودير نهيا وغيرهما. ويُلاحَظ أنّه كتب السير الأخيرة بالتفصيل حيث أنّها قاربت عصره».

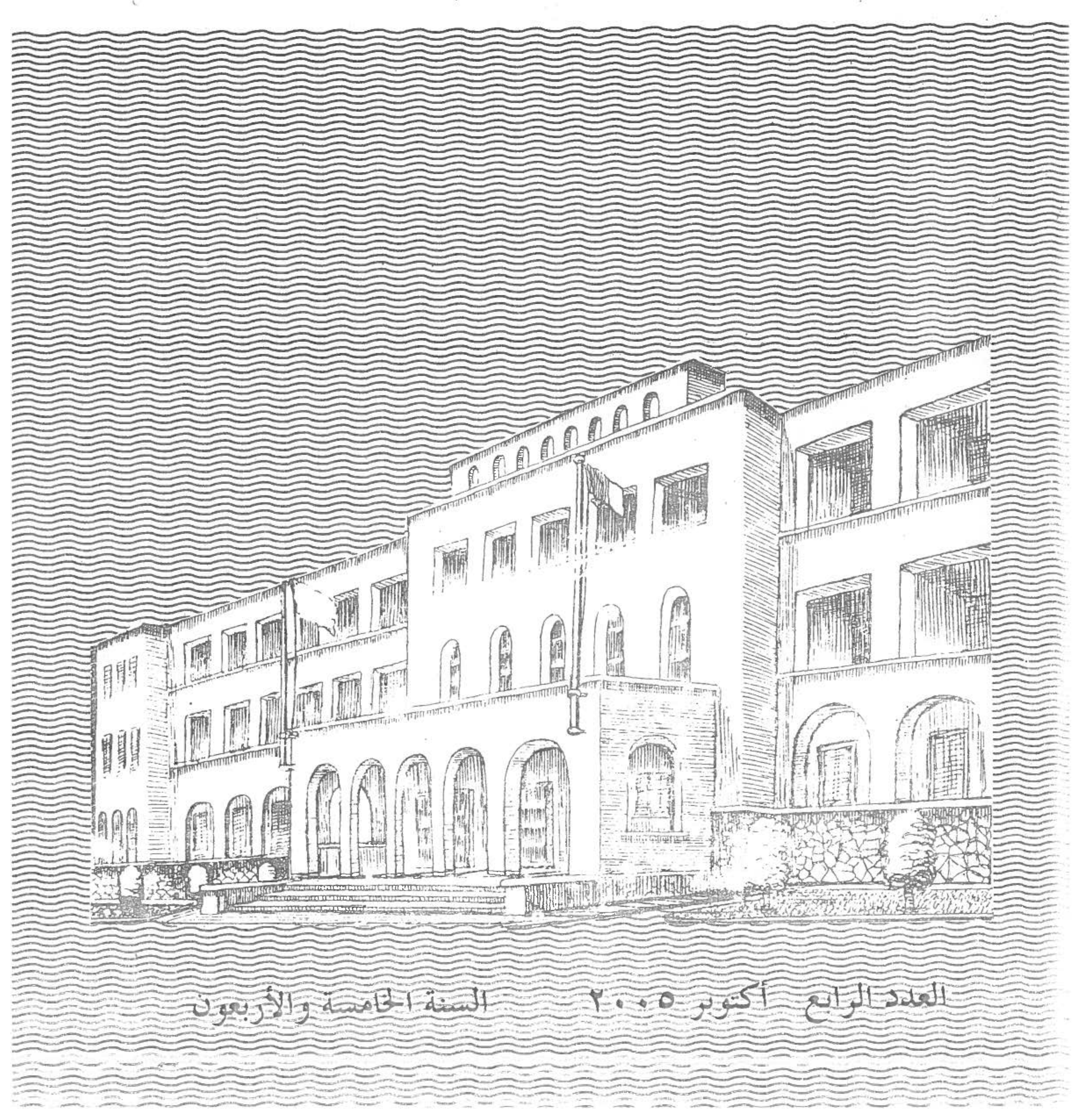
٧) «تاريخ البطاركة للأنبا ساويروس أبن [هكذا] المقفّع أسقف الأشمونين». إعداد الأنبا صموئيل أسقف شبين القناطر وتوابعها، ٣ أجزاء، القاهرة، النعام للطباعة والتوريدات، ١٩٩٩.

إنّها طبعة منقولة، بدون الإشارة إلى ذلك، في الجزء الأوّل، عن الطبعة السابقة المصوَّرَة عن طبعة إِفِتْس (بعد حذف المقدّمات والنصّ الخاصّ بكهنوت المسيح)، وفي الجزءين الثاني والثالث، طبعة جمعيّة الآثار القبطيّة، بعد حذف المقدّمات ورموز المخطوطات والحواشي، وإضافة فهرس أبجدي للأعلام وآخر للأماكن، في نهاية الجزء الثالث، ولكن للجزء الثاني فقط. وهو عديم الجدوى لمن يستخدم هذه الطبعة؛ لأنّه يحيل إلى أوراق المخطوط، لا الصفحات، وقد حذفها الناشر، وهو فضلاً عن ذلك لا يشير لمن هو الفهرس.

للمقال بقية

صديق الكاهن

مجلة تصدرها كلية العلوم الإنسانية واللاهوتية



العدد الرابع أكتوبر ٢٠٠٥ السنة الخامسة والأربعون

مؤلِّفو سير البيعة من «سير البيعة» (٣)

تقديم الأخ وديع الفرنسيسكانيّ

٤) الأصول اليونانيّة والقبطيّة لبعض السير

١) سير البطاركة: مِن أنيانُس/٢ إلى يُليانُس/١١

(إِفِتْس، ١، ص ١٤٩-١٥٤؛ سيبولد/هـ، ص ١١-١٤؛ سيبولد/ك، ص ٢٣-٢٥)

هذه السير، وكلّها قصيرة وموجزة، تعتمد بشكل مباشر على «التاريخ الكنسيّ» لاوزيبيوس القيسرانيّ. وتعتمد عليه، بجانب مصادر أخرى، أخبارُ البطاركة: ديمتريوس/١٢، هِركْلاس/١٣، ديونيسيوس/١٤، مكسيمُس/١٥، ثيئونا/١٦، بطرس الأوّل/١٧.

٢) كهنوت المسيح De sacerdotio Christi

(إِفِتْس، ١، ص ١٢٠-١٣٤؛ سيبولد/هـ، ص ٤-١١؛ سيبولد/ك، ص ٨-١٥)

الأصل اليونانيّ لهذا النصّ نشره سويدَس

Suidas, Lexicon. Edidit A. Adler (*Lexicographi graeci,* 1), I-V, Lipsiae, 1928-1938; A. Vasiliev, *Anecdota graeco-byzantina*, Mosquae, 1898, p. 60-72 (cf. G. Graf, *GCAL*,1, p. 245-246; J. Den Heijer, p. 6, 19, 25, 85, 110, 126-127, 194).

يأتي هذا النصّ قبل أخبار البطاركة على الأرجح؛ لأنّ موهوب والمترجِم وجداه في بداية مخطوط في دير نهيا يحوي المجموعة الأولى مِن سير البطاركة. ولكن النصّ ذاته لا صلة له بسير البطاركة. وهناك طبعة عربيّة للنصّ مستقلّة عن تاريخ البطاركة، بعنوان «تقدمة المسيح كاهنًا في هيكل أورشليم نقلاً عن نسخة قديمة بخطّ اليد». طُبِع على نفقة مرقس جرجس، القاهرة، ١٩٣٣، ٣٦ ص.

٣) سيرة واستشهاد القدّيس مرقس

(إِفْتِس وسيبولد/ك: السيرة ١ و٢؛ سيبولد/هـ: السيرة ١، وهو يعلن عن النصّ ولا يورده)

(إِفْتِس، ١، ص ١٣٥-١٤٨؛ سيبولد/هـ، ص ١١؛ سيبولد/ك، ص ١٦-٢٢)

لهذا النصّ أصل قبطيّ نشره هوايت ونشره وترجمه اورلندي وغيره

H.G.E. White, *The Monasteries of the Wâdî'n Natrûn, I. New Coptic Texts from the Monastery of Saint Macarius (The Metropolitan Museum Egyptian Expedition Publications*, 2), New York, 1926, p. 46-47; Tito Orlandi *Studi Copti*, Milano-Varese, 1968, p. 5-52: LEncomio di Marco Evangelista di Giovanni il Recluso vescovo di Shmun; *Encomiastica from the Pierpont Morgan Library* (CSCO, 545), Louvain, 1993, p. 65-101.

ويحتاج الأمر إلى دراسة لمقارنة النصّ العربيّ بهذه الأصول.

٤) حياة ديمتريوس

(إقْتِس، سيبولد/ك: السيرة ٤؛ سيبولد/هـ: السيرة ١٢)

(إقْتِس، ١، ص ١٥٤-١٧٣؛ سيبولد/هـ، ص ١٤-٢٢؛ سيبولد/ك، ص ٢٦-٣٦)

لنصّ حياة ديمتريوس أصل يونانيّ مترجَم إلى اللغة القبطيّة، وهو منسوب إلى فلَقيانُس أسقف أفسُس. وقد نشر بَدْج النصَّ القبطيّ مع ترجمة. والتوافق بين النصّ القبطيّ والنصّ العربيّ كبير جدًّا

E.A. Wallis Budge, *Coptic Martyrdoms in the Dialect of Upper Egypt*, London, 1914, p. 137-156; 391-408.

٥) حياة بطرس خاتم الشهداء

(إقْتِس، سيبولد/ك: السيرة ٦؛ سيبولد/هـ: السيرة ١٧)

(إقْتِس، ١، ص ٣٨٣-٤٠٠؛ سيبولد/هـ، ص ٤١-٥٥؛ سيبولد/ك، ص ٥٤-٦٢)

الأصل لهذا النصّ هو مديح بطرس المنسوب إلى خليفته ألِكْسندرُس، وقد نشر النصّ القبطيّ وترجمه هيڤرنا

H. Hyvernat, *Les Actes des Martyrs d'Égypte, tirés des manuscrits coptes de la Bibliothèque Vaticane et du Musée Borgia*, Paris, 1886-1887, p. 247-262, 263-283.

٦) حياة بنيامين/٣٨ وتكريس هيكل أنبا مقار

(إقْتِس، سيبولد: السيرة ١٤؛ سيبولد/هـ: بدون تحديد سيرة)

(إقْتِس، ١، ص ٧٨٤-٨١٥؛ سيبولد/ك، ص ٤٠١-٤٢١؛ سيبولد/هـ، ص ٨٩-٢١١)

هذه السيرة كتبها الراهب جرجه وأكملها أغاثون، خليفة بنامين، وقد نشر النصّ القبطيّ والعربيّ وترجمهما كوكان

Livre de la Consécration du Sanctuaire de Benjamin. Texte copte bohaïrique et versions arabes édités par R.-G. Coquin (*Institut Français d'Archéologie Orientale, Bibliothèque Copte*, 13), Le Caire, 1975.

٧) أخبـــار البطاركـــة: بطـــرس الأول/١٧، أَلِكْســـندرُس الأول/١٩، أثناسيوس الأول/٢٠

هناك نصّ قبطي به ثغرات نشره وترجمه اورلندي ولعلّ المحــررِّ لهذه السير هو مينا الكاتب

Storia della Chiesa di Alessandria, vol. I: da Pietro ad Atanasio. Testo copto, traduzione e commento di Tito Orlandi, Milano-Varese, 1968.

٨) أخبـــار البطاركـــة: ثيئـــوفيلُس/٢٣، كيـــرلُّس الأول/٢٤، ديوسكورُس/٢٥، تيموثيئوس الثاني/٢٦

هناك نصّ قبطي به ثغرات نشره وترجمه اورلندي، ولعلّ المحررِّ لبعض هذه السير هو مينا الكاتب

Storia della Chiesa di Alessandria, vol. II: da Teofilo a Timoteo II. Testo copto, traduzione e commento di Tito Orlandi, Milano-Varese, 1968.

ثانيًا: مختلف مؤلِّفي سير البيعة من «سير البيعة»

يشير مؤلِّفو «سير البيعة» في أماكن شتّى، ولاسيّما عند الانتقال من مؤلِّف إلى آخر، إلى المؤرِّخين السابقين، وللسير الأولى أصـل يونـانيّ و قبطي (كما ذكرنا للتوّ)، ولكن يصعب تحديد الأصل لجميع الســير، بســبب ضياع بعض هذه الأصول، ووصول البعض ناقصًا، وفي شذرات مبعثرة بين مكتبات العالم.

نورد النصوص هنا، حسب نشرة إِفْتِس، ونشير إلى ما يقابل النصّ في نشرة سيبولد/هـ، وسيبولد/ك، ونعيِّن النصوص التي تهمّنا **بالبنط الأسود Black**.

١) ترجمة بعض السير من اليونانيّة والقبطيّة

ترد أوّل إشارة إلى ترجمة بعض السير من اليونانيّة والقبطيّة في المقدّمة الثالثة:

«... وانا ممن لا يجب له ان يكتب بخط يده البائسة الفانية شيئاً من اخبارهم فاستعنت بمن اعلم استحقاقهم من الاخوة المسيحيين وسألتهم مساعدتى على **نقل ما وجدناه منها بالقلم القبطى واليونانى الى القلم العربى** الذى هو اليوم معروف عند اهل هذا الزمان باقليم ديار مصر لعدم اللسان القبطى واليونانى من اكثرهم ليكتفى بذلك عند وقوفه عليه ... واستنسخت ما لم اعلمه من الاوائل حسبما تضمنته قوانين [سيبولد/هـ: اسطريات] البيعة على ما يأتى به الشرح وما نادت به الاحاديث والاخبار واضفت الى ذلك ما عرفته من سير مَن شاهدته من الاباء البطاركة وسألته جلت قدرته ان يغفر لي ما جاء فيه من لفظ زائد او تحسين كلام وما نسبته الى نفسى الخاطئة من تسطير خبر من لا استحق ان اكون اقل تلاميذه واشرحه من فضائل رهبان قديسين مؤيّدين بنعمة روح القدس بالمشاهدة ونقل الاخبار وانا اضع مطانوات عدة لمن قرأ ما كتبته ان يستغفر لي فيما اقدم عليه ونسبت اليه ويدعو لي [سيبولد/هـ: ولوالدى وولدي] بالعفو والمسامة والغفران» (إِفْتِس، ١، ص ١١٥-١١٧؛ قابل سيبولد/هـ، ص ٢ ؛ سيبولد/ك، ص ٥-٧).

٢) مترجِم السير القبطيّة: الشمّاس ميخائيل بن بدير الدمنهوريّ

تردّ أولّ إشارة إلى ميخائيل بن بدير الدمنهوريّ في المقدّمة الرابعة:

«نبتدئ بعون اللّه وحسن توفيقه بكتب سير البيعة المقدسة قال المصنف فيما صنفته انا الخاطئ جمعته من دير القديس ابى مقار وديارات الصعيد وتولى **نقل بعضه الشماس الديّن ميخائيل بن بدير من لغة القبطى الى العربى** مما يأتى ذكره في موضعه سوى ما كان في المدينة العظمى وما وجد منها مختصرًا من سير الاول منها المسيح عونى ورجاءى وناصرى وخلاصى فاول ذلك ما نقل بدير السيدة بنهيا عن سبب كهنوت المسيح السيد جل اسمه ودخوله الى الهيكل بسلام اللّه امين امين امين» (إفِنْتس، ١، ص ١٢٠؛ قابل سيبولد/هـ، ص ٤؛ سيبولد/ك، ص ٨).

ويتكرّر ذكر الشمّاس ميخائيل بن بدير الدمنهوريّ وغيره، كمترجِم لبعض السير، في نهاية الحديث عن الأنبا سيمُن الأول/٤٢ (٦٨٩-٧٠١). والكلام هنا لموهوب بن منصور بن مفرّج:

«تمت السيرة السادسة عشرة انتهت سير الآباء رزقنا اللّه بركة صلواتهم الى سيرة انبا سيمون وهو الثاني والاربعون بطركًا [٦٨٩-٧٠١] سوى ما نقلناه من دير ابى مقار وهى عشرة بطاركة من خايال الاخير [٤٦: ٧٤٤-٧٦٧] الى سانوتيوس الاول [٥٥: ٨٥٨-٨٨٠] سوى ما نقلناه هاهنا تسعة بطاركة وذلك في **سنة سبع مائة وست وتسعين** [سيبولد/هـ: اربع ماية وستة وسبعين؛ سيبولد/ك: اربعمائة وستة وتسعين] للشهداء من بقيرة الشماس ومن [سيبولد/ك: تفسرة الشماس الدين] **ميخائيل ابن بدير الدمنهورى** [سيبولد/هـ: + والقس زكير] **بفضل اللّه** بوجودنا السير في دير ابى مقار بالاخ تادرس الامين ابن بولس [سيبولد/هـ: يونس] يوم الاحد سادس بؤونة

سنة **سبع مائة سبع وتسعين** [سيبولد/هـ: اربع ماية وستة وسبعين؛ سيبولد/ك: اربعمائة وسبعة وتسعين] للشهداء الابرار وقابلنا بعضها مع بعض فوجدناها موافقة لما نسخناه فتحققنا صحته» (إِفْتْس، ٥، ص ٤٧-٤٨؛قابل سيبولد/هـ، ص ١٣٢؛ سيبولد/ك، ص ١٤١).

وسنة ٧٩٦ ش تقابل ١٠٨٨، بينما ٤٩٦ش تقابل ٧٧٩ وهو تاريخ خطأ، لأنّ المترجمين المذكورين لم يكونوا قد ظهروا بعد. وتاريخ ١٠٨٨ هو السنة التي بدأ فيها موهوب بن منصور بن مفرِّج العمل في جمع السير. ويبدو هنا أنّه يجب تفضيل قراءة سيبولد/ك لكلمة «تفسرة» على كلمة «بقيرة» التي يقدمّها إِفْتْس وسيبولد/هـ. وبالتالي يكون المعاونون في العمل: ميخائيل بن بدير الدمنهوريّ، والقسّ زكير (حسب سيبولد/هـ فقط)، وتادرس بن بولس أو يؤنّس، الذي لا تتحدّد مساهمته بوضوح. ويبقى من البيّن أنّ المترجم الآساسيّ لبعض السير هو الشمّاس ميخائيل بن بدير الدمنهوريّ.

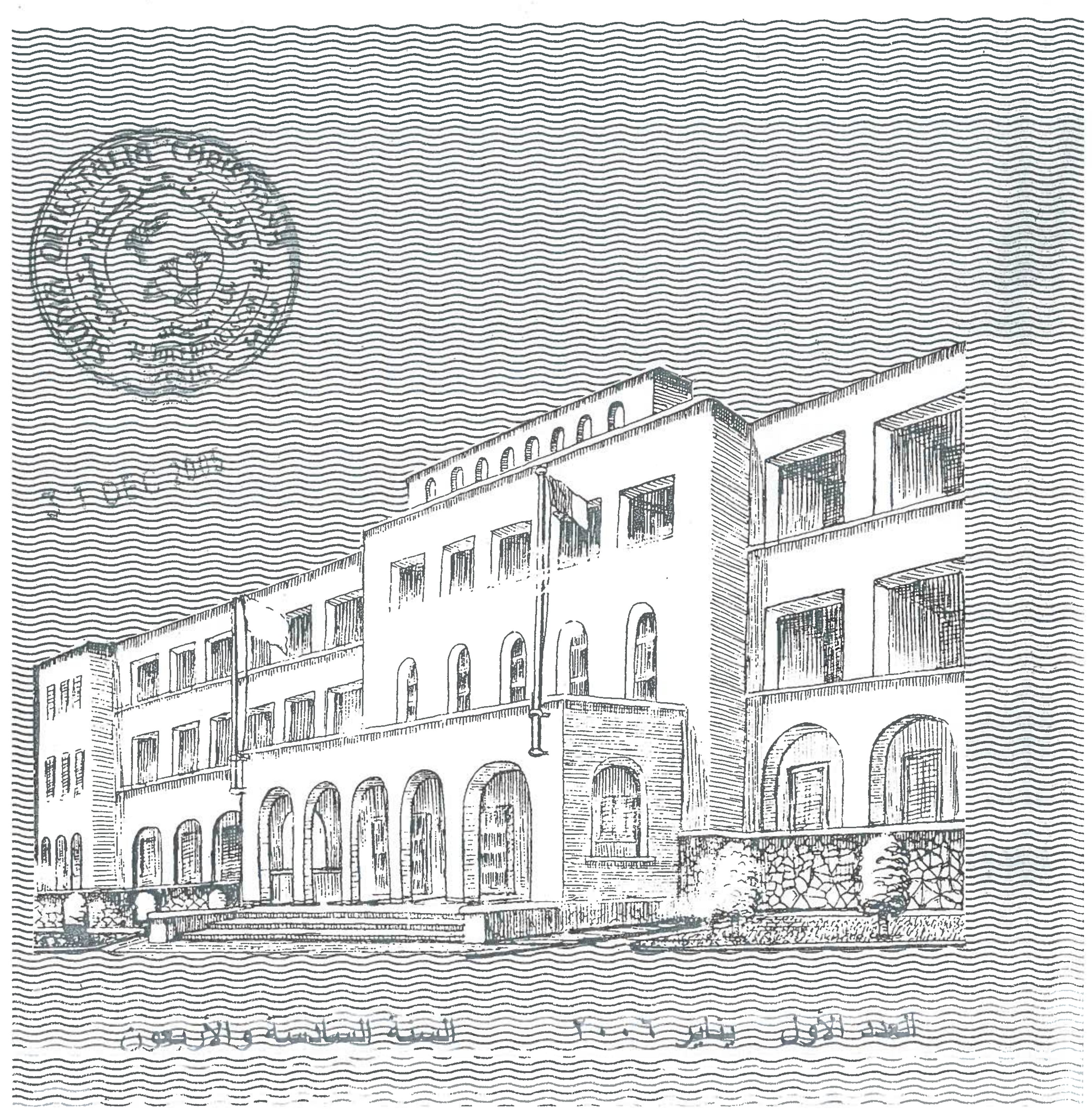
ويرد تأكيد لدور الشمّاس ميخائيل كمترجمٍ في بداية السيرة الثالثة والعشرين، وهي بداية عمل الأنبا ميخائيل أسقف تِنيس. ولا يرد نصّ هذا التأكيد في الكتاب المطبوع، ولكن في مخطوط باريس ٣٠٣، ورقة ١٦٠جـ، ويوده كذلك يوهنّيس دن هير(ص ١٥٣). وصياغة النصّ تعود إلى موهوب بن منصور بن مفرِّج. وهذا هو النصّ، الذي يتحدّث عن ميخائيل أسقف تنيس كمؤلِّف للسير، وعن الشمّاس ميخائيل بن بدير كمترجم لها، ممّا يظهر أنّنا أمام شخصيّتين مختلفتين.

«السيرة التالته والعشرين للبيعه المقدسه مما شرحه انبا ميخاييل اسقف تنيس ونقلناه من خطه في دير ابو مقار في اول برموده سنه تمان [دن هير: ثمن] مايه واربعه للشهدا [١٠٨٨] **وفسره الشماس بو حبيب ميخاييل بن بدير الدمنهوري من القبطي من نسخه بخط انبا ميخاييل المذكور** قال».

للمقال بقية

صديق الكاهن

مجلة تصدرها كلية العلوم الإنسانية واللاهوتية



العدد الأول يناير ٢٠٠٦ السنة السادسة والأربعون

مؤلِّفو سير البيعة من «سير البيعة»

(٤)

تقديم الأخ وديع الفرنسيسكانيّ

٣) مؤلِّفون يهود وآباء يونانيون

ترد أوّل إشارة إلى مؤرِّخين يهود وآباء يونانيين في السيرة الثالثة عشر، وبها حياة الأنبا ديوسكورُس الأوّل/٢٥ (٤٤٤-٤٥٨):

«وكانت عادة الأوائل ان يكتبوا سير المتقدّمين فى كل جيل واما في زمان بنى اسرآئيل فكتب فيلون الفاري [سيبولد/هـ: فيلن القاري؛ سيبولد/ك: فيليمن القاري] **ويوستوس** [سيبولد/هـ: وموسيوس؛ سيبولد/ك: وفرسيوس] **ويوسابوس** [سيبولد/ك: واوساويوس] **واكسيبوس** [ويستوس] بعض سيرة سيّدنا يسوع المسيح وخراب اورشليم بيد اسباسيانوس وطيطس ابنه وما كان من بغدهما ومن بعد ذلك كتب **افريقتوس واوسابيوس** [سيبولد/هـ: واساويوس؛ سيبولد: واوسابس]...» (إِفْتِس، ١، ص ٤٤٤؛ قابل سيبولد/هـ، ص ٧٥؛ سيبولد/ك، ص ٨٣-٨٤).

ويأتي الحديث عن مؤرِّخين يهود وآباء يونانيين في مقدّمة السيرة الثامنة عشرة، الخاصّة بحياة خائيل الأوّل/٤٦ (٧٤٤-٧٦٨)، وهذه السيرة وضعها يوحنّيس تلميذ الأنبا مويسيس، وبالتالي فالكلمات له:

«كما قال الكتاب في المزمور ٧٧ (بالأبقطيّ)[سيبولد/ك: ٤٧] الذى سمعنا ورأينا واخبرونا اباؤنا وكما اخبر **موسى النبى** فانه كتب ما كان في

الارض من آدم الاول الى زمانه [سيبولد/ك: زماننا هذا] ثم بعده **الانبياء** الذين تنبّؤوا بما يكون ثم بعدهم **الحواريون القديسون** كرزوا بما شاهدوه وكذلك كلمن كان بعدهم على هذه القضيّة وتعاليم الاباء المؤيّدين الذين للبيعة والكلام المقوّى للامانة والاخوة بنى المعمودية اللابسين النور والاباء الذين اثبتوا الاساس القوى والدعامة الوثيثة والرب يسوع المسيح المخلّص الذى نجّانا وخلّصنا من اثامنا بتجسّده من العذراء الطاهرة والمنعم علينا بفتح قلوبنا واذهاننا بسماع كتبه المقدسة **فيلن ويستس ويوسابوس** [سيبولد/هـ: ويسبس وارزتاوس؛ سيبولد/ك: ويسبس واراياوس] من اليهود الذين اخبروا اولاً بخراب اورشليم والذين وضعوا لنا سيرة البيعة المقدّسة **افريقنوس واوسابيوس والصوزامنوس** [سيبولد/هـ: واوساويوس وايسطزلمنوس؛ سيبولد/ك: واوسابيوس واسطزامنوس]اظهروا لنا الجيّد والردى» (إِقْتس، ٥، ص٨٨-٩٠؛ قابل سيبولد/هـ، ص١٥٢؛ سيبولد/ك، ص١٦٠-١٦١).

وثمّة إشارة إلى هؤلاء المؤرِّخين في بداية الحديث عن الأنبا مينا الأول/٤٧ (٧٦٧-٧٧٤)، في السيرة التاسعة عشرة، وهي من تأليف يوحنّا، تلميذ الأنبا شنوده الأوّل/٥٥ (٨٥٨-٨٨٠):

«انّه لواجب علينا الاستقصاء والبحث عن جميع سير البيعة كما كان اباؤنا المتقدّمون يفعلون فامّا **فيلون ويوستس ويوسابوس** [سيبولد/ك: فيلن ويوسبس وموساوس] من اليهود فانّهم سيّروا [سيبولد/ك: ستروا] ما جرى بيروشليم من اجل المسيح والذى كتب سير البيعة الارثدكسيّة **افريقانوس واوسابيوس وسوزمانوس** [سيبولد/ك: افريقنوس واوسابيوس وابيفانيوس (وفي الحاشية: افرانيقوس وارسانيوس وبرومانيوس)]...» (إِقتس، ١٠، ص٣٥٩؛ قابل سيبولد/ك، ص ٢١٧-٢١٨).

ولا يعنى ذِكْر هؤلاء المؤرِّخين اليهود والآباء اليونانيين أنّ «سير البيعة» تعتمد عليهم. وتحتاج أسماء هؤلاء المؤرِّخين إلى مراجعة وضبط على مختلف المخطوطات.

٤) مينا الكاتب أوّل مؤرِّخ قبطيّ

أوّل إشارة إلى مينا الكاتب ترد في السيرة الثالثة عشر عند الحديث عن الأنبا ديوسكورُس الأوّل/٢٥ (٤٤٤-٤٥٨):

«ومن بعد ذلك كتب [. . .] **ومينا** التجارب والجهاد الذى نال الرعاة فى ايام انبا كيرلص الحكيم البطرك وما جرى بينه وبين نسطور وما لقيه الاب ديسقرس بعده من مجمع خلقدونية ثم افترقت الامانة والكراسى حتى انه لم يبق من يكتب سيرة وانقطع ذلك والرب باق الى الابد ولذلك لم توجد سيرة القديس ديسقرس البطرك بعد نفيه وحفظ الامانة الارثدكسية الباقية في كرسى البشير مارى مرقس الى الآن والى الابد حتى اخذ اكليل الشهادة بجزيرة غاغرا من مرقيان الملك وتنيّح هناك» (إِڤِتْس، ١، ص ٤٤٤؛ قابل سيبولد/هـ، ص ٧٥؛ سيبولد/ك، ص ٨٤).

بعد هذا النصّ يحوي سيبولد/هـ تكملة لا نجدها لدى إِڤِتْس ولا سيبولد/ك، وهوذا نصّها:

«وقد فرغ (ع) ان نكتب سيرته الكاملة المفسرة من ورتاكي القديس ابو مقار في الكتاب المـ[تـ]ضمن سيرته وسير كلستينوس بطريرك رومية والقديس ابو مقار الاسقف وعدة سير صلاتهم معنا امين والسبح للّه دايما ابدا».

وكلمة «ورتاكي» هي تحريف لكلمة Bibliotheca. وربمّا لدينا هنا إشارة إلى ترجمة سيرة الأنبا ديوسكورُس المنسوبة إلى ثيئوپيستوس.

وثمّة إشارة إلى مينا الكاتب في بداية الحديث عن الأنبا مينا الأول/٤٧ (٧٦٧-٧٧٤)، في السيرة التاسعة عشرة، وهي من تأليف يوحنّا، تلميذ الأنبا شنوده الأول/٥٥ (٨٥٨-٨٨٠):

«وبعدهم ايضًا **مينا الكاتب** هؤلاء كتبوا ما جرى على البيعة الى ديسقرس الاب العظيم المعترف بالمسيح وقائل الحقّ الذى خلّصنا من الطوفان الثانى ومن غرق العمق الذى ليس له نهاية ومن الستّمائة وثلثين المجتمعين بخلقدونيّة ولاؤون الكافر صاحب روميّة وهذا قد كتب لنا فى ثانى عشر سيرة للبيعة [سيرة كيرلّس الأول/٢٤: ٤١٢-٤٤٤] الذين ذكرنا اسماءهم لانّهم كانوا قد عنوا بهذا الامر» (إفِتْس، ١٠، ص ٣٥٩-٣٦٠؛ قابل سيبولد/ك، ص ٢١٨).

وليس من الواضح إن كانت حياة ديوسكورُس من وضع مينا الكاتب، أو المؤرِّخ الذي يليه.

٥) جرجه (أو مركه؟) المؤرِّخ القبطيّ الثاني

ويأتي الحديث عن المؤرِّخ القبطي الثاني، الأنبا جرجه (وحسب سيبولد/هـ: مركه)، كاتب الأنبا سيمُن الأول/٤٢ (٦٨٩-٧٠١)، في مقدّمة السيرة الثامنة عشرة، الخاصّة بحياة خائيل الأول/٤٦ (٧٤٤-٧٦٨)، وهذه السيرة وضعها يوحنّيس تلميذ الأنبا مويسيس، وبالتالي فالكلمات له:

«[. . .] والبلايا التى حلت بالقدّيسين والرعاة لقطعان السيّد المسيح وما نالهم من التعب على البيعة والشعب الارثدكسى من المتولّين فى كل زمان ليس كورة مصر فقط بل وانطاكية ورومية وافسس التى كان فيها هارسيس نسطور الذى يستحقّ لسانه القطع من اصله وبقيّة المخالفين في ذلك الزمان وبدّد الله جميعهم مثل الغبار امام الريح شبل الاسد الحكيم كيرلص

الذى قطعه وغيره من المخالفين وجعل كتبه فى سائر بيع المسكونة الارثذكسيّة كما اظهر لنا ذلك الكتاب الذى ابتدأ باسمائهم الى ان انتهوا الى المعترف المجاهد بالحقيقة ديسقرس الذى احرم لاؤون الذى هو السبع المفترس للانفس كاسمه واحرم الستمائة وثلثين المجتمعين بخلقدونية واحرم مرقيان الملك والملكة بلخارية المرذولة وجعل جميع من اتبع لاؤون تحت الحرم واخرج بأمر الملك والملكة ومضوا به الى النفى وتمّ جهاده هناك واعاد نفوسًا كثيرًا الى السيّد المسيح على يديه وكلما جرى كتب به الينا الى هاهنا فى ثانى عشر سيرة من سير البيعة [السيرة ١٢ من سير البيعة مخصّصة للقدّيس كيرلّس الأول/٢٤: ٤١٢-٤٤٤] والبدو بكتب ما بعد ذلك من الاب كيرلص وهو فى دير ابلاح الى الاب المعترف الاكسندروس [الثاني/٤٣: ٧٠٥-٧٣٠] نسأل عنه المعلّم والكاتب فى زمانه الذى هو الشمّاس الارشيدياقن صاحب الاب البطرك انبا سيمون [سيبولد/هـ: سوماون] [الأول/٤٢: ٦٨٩-٧٠١] بطرك الاسكندرية **وكاتبه الراهب ابا جرجه** [سيبولد/هـ: **انبا مركه**] فكتب ذلك فى جبل القدّيس ابى مقار بوادى هبيب واعلمنا ما جرى في زمان مرقيان الملك الكافر وما لحق اباءنا من التعب وما جاء بعدهم الى زمان سليمن بن عبد الملك [٧١٥-٧١٧] الذى ولى بعده الملك عمر بن عبد العزيز [٧١٧-٧٢٠] الذى هزم اسامة الملك الكافر الذى كان قبله بمصر [سيبولد/هـ: هدم الملك الكافر بمصر واباده]» (إفِتس، ٥، ص ٨٩-٩١؛ قابل سيبولد/هـ، ص ١٥٢؛ سيبولد/ك، ص ١٦١).

وقد يكون جرجه (أو مركه) هو كاتب حياة يوحنّا الثالث/٤٠ (٦٧٧-٦٨٦)، ويصف الكاتب نفسه إنّه ولده الروحيّ: «وكان كاتب هذه السيرة معه لانه ولده» (إفِتس، ٥، ص٢٠؛ قابل سيبولد/هـ، ص١٢؛ سيبولد/ك، ص١٢٩).

٦) ابّا مقاره ومقاره الراهب

يرد ذكر اثنين من الكُتّاب باسم مقاره، في بداية الحديث عن الأنبا مينا الأوّل/٤٧ (٧٦٧-٧٧٤)، في السيرة التاسعة عشرة، وهي من تأليف يوحنّا، تلميذ الأنبا شنوده الأوّل/٥٥ (٨٥٨-٨٨٠)، وهذا هو المكان الوحيد الذي يرد فيه ذِكْر هذين الاثنين:

«وكذلك في كل جيل لم يدعنا اللّه هكذاالارشيدياقن والد ابينا الاب القديس انبا قسما [سيبولد/ك: قزمان][الأول/٤٤: ٧٣٠-٧٣١]بطرك الاسكندريّة الذى هو قريبه **وابّا مقارة ايضًا ومقارة الراهب**» (إقِتْس، ١٠، ص٣٦٠؛ قابل سيبولد/ك، ص ٢١٨).

هذه الجملة غامضة، ويبدو أنّ هناك نقص بالنصّ. ومن المعروف أنّ سيرة قزما الأوّل تُنْسَب إلى يوحنّيس تلميذ الأنبا مويسيس (انظر اسفل).

٧) يوحنّيس تلميذ الأنبا مويسيس كاتب السيرتين ١٧-١٨: ألِكْسندرُس الثاني/٤٣- خائيل الأوّل/٤٦: السنوات ٧٠٥-٧٦٧ = ٦٢ سنة، أربعة بطاركة

في حياة قزما الأوّل/٤٤ (٧٣٠-٧٣١، الواردة في السيرة السابعة عشرة، يكتب المؤرّخ كلمات تدلّ على أنّه كان راهبًا في نفس دير ثيئودورُس/٤٥ (٧٣١-٧٤٣)، وكان على صلة به:

«كما قال لنا من فيه المقدس عند استحقاقه البطركية وكان يعلمنا ويحثّنا على التواضع في كل حين» (إقِتْس، ٥، ص ٨٥؛ قابل سيبولد/هـ، ص ١٥٠؛ سيبولد/ك، ص ١٥٨).

في مقدّمة السيرة الثامنة عشرة، الخاصّة بحياة خائيل الأوّل/٤٦ (٧٤٤-٧٦٧) يتابع المؤرِّخ:

«ومن اجل ذلك اسألكم انا الحقير ان تسألوا السيّد المسيح عنّى ان يحلّ رباط لسانى الناقص بصلواتكم ويفتح قلبى المظلم ويعطينى معرفة الكلام فلعلى اقدر ان اظهر لكم ولابوّتكم ما تطلبونه منّى ممّا لا تصل اليه قدرتى ليس كمعلّم ومهدٍ اكثر منكم ولكن كمتعلّم ولما نظرت ما كتبته بعينى وكبرته علىّ ولمسته يدى وما سمعته من الاحباء قلبى ممّن نصدق ونأمن اليه لئلا اكون على قول الانجيل الصادق فى العبد الدى دفن فضة سيده في الارض واقول لقدسكم انا البائس الحقير في الناس انّنى تمثلت بقول داعود اذ يقول عن البارئ سبحانه في المزمور ١١٢ (بالأبقطيّ) الذى يقيم الفقير من على الارض والمسكين من المزبلة ويجلسه مع اغنياء الشعب هو الذى اجلسنى مع الاباء القديسين وشاهدت ما نالهم بقلبى لاكتب ذلك بغير استحقاق لانهم صاروا رعاة على الارض وبذلوا نفوسهم على اسم المسيح دفعات شتّى لاذكر يسيرًا من افعالهم وبقيّتها السيّد المسيح وحده العالم بها وما كان متقدمًا فان السيّد المسيح يعلم اننا ما زدنا عليها شيئًا بل شرحت ما كان الى حين نياحة الاب الطوبانى تاودوروس[/٤٥: ٧٣١-٧٤٣]بطرك الاسكندرية والمملكة التى كانت في ايامه الى تمام السابع[سيبولد/هـ، سيبولد/ك: السادس] عشر سيرة المذكورة انفًا والآن فبارادة اللّه وصلواتكم المقدّسة نذكر السيرة الثامنة [سيبولد/ك: السابعة]عشرة من سير البيعة»[سيبولد/هـ: نبدى نذكر السابع عشر سيرة]» (إِڤتْس، ٥، ص٩١-٩٢؛ قابل سيبولد/هـ، ص١٥٣؛ سيبولد/ك، ص١٦١-١٦٢).

ويسوق المؤرِّخُ الحديثَ بضمير المتكلِّم، ويعلن أنّه تلميذ الأنبا مويسيس أسقف اوسيم، ويَظْهَر مِن النصّ أنّ الكاتب كان مشاركًا في

الأحداث، وأنّه كان يعرف اللغة العربيّة، بعكس البطريرك والأنبا مويسيس. ولا يفصح الكاتب عن اسمه إلاّ قرب نهاية السيرة، مرّة تحت اسم يحنس، وأخرى تحت اسم يونس. ويصرّح الكاتب أنّه وضع سيرة مطولّة لحياة الأنبا خائيل الأوّل، أمّا النصّ الوارد في «سير البيعة» فهو مختصر لها. ونقدّم النصوص التي يشير فيها المؤلِّف إلى نفسه:

«[. . .] كما شاهدنا باعيننا دفعات شتّى وكان ينفذ يحضر الطوبانى تاودوروس البطرك [/٤٥: ٧٣١-٧٤٣] كالذئب اللابس لباس الخروف وكان يصحب البطريرك **ابى الروحانى ابا مويسيس** [سيبولد/هـ: مسيس؛ سيبولد/ك: ميسيس] الاسقف حتى يجتمع به وكان الملك يحب ابى اكثر من كل الاساقفة وكان يحضر له الصغار من السرارىّ حتى يبارك عليهنّ وانا ابصرهنّ وكان يقول للاب البطرك هؤلاء هنّ اولادك ضع يدك عليهنّ وباركهنّ واعطهنّ البركة لاننى اشتريتهنّ جددًا وكان يفعل ذلك دفعات شتّى بالاب البطرك فلما حضرنا عنده دفعة كالعادة ...» (إفِتْس، ٥، ص ٩٣؛ سيبولد/هـ، ص ١٥٣-١٥٤؛ سيبولد/ك، ص ١٦٢).

«ونريد الآن نذكر يسيرًا من افعاله في الرهبانيّة وعجائبه قبل ان يكون بطركًا ولكن نخاف من التطويل لان كل شىء له مقدار كما قالت الكتب غير اننى قد **ذكرتهما فى كتاب سيرته خارج عن هذه السيرة**» (إفِتْس، ٥، ص ١١٤؛ قابل سيبولد/هـ، ص ١٥٣-١٥٤؛ سيبولد/ك، ص ١٧٢) .

يرد هذا النصّ في سيبولد/هـ (ص ١٦٣) بصيغة مختلفة، ونذكره هنا لأهمّيّته:

«واريد الان اذكر شيًا من تقلبه في رهبانيته وعجايبه فخيف من التطويل لان كل شى له مقدار كما قالت الكتب غير اني قد **دكرتها في كتاب سيرته الاصلية خارج عن هده السيرة**».

«فتقدّم الى قسّ وكان كاتبه والىّ انا البائس واضع هذه السيرة» (إقِتْس، ٥، ص ١٢٧؛ قابل سيبولد/هـ، ص ١٦٩؛ سيبولد/ك، ص ١٧٧).

«**وجعلونا** فى خزانة مظلمة لا ننظر منها الشمس وليس فيها طاق لانّها كانت نقرت في حجر وكان ابونا البطرك تحت ضيق عظيم من التكبيل بالحديد من الحادى عشر من توت الى ثانى عشر بابة ولم ينظر في هذه المدة شمسًا وكان في الاعتقال معه ثلثمائة رجل ونساء ايضًا معتقلات في ضيق اكثر من الرجال و[سيبولد/هـ:+ وكنا في] الحزن والبكاء والضيق العظيم عند انقضاء النهار ويغلق المتولى للسجن **علينا** ويمضى ولا يعود الى سابع ساعة من النهار» (إقِتْس، ٥، ١٣٥؛ سيبولد/هـ، ص ١٧٣؛ قابل سيبولد/ك، ص ١٨١).

«وكان على مائدة الملك رجل مؤمن خير يهتمّ بالاب البطرك **ويفتقدنا ويجيب لنا فى السجن ما نحتاج اليه وانا الخاطئ ملازم لخدمة هؤلآء الثلثة شهداء** بغير سفك دم ليلاً ونهارًا وكان قد نزل في تلك السنة وبآء عظيم على الاطفال المرضعين بمصر حتى مات جميعهم **وفيما انا نائم عند رجلى البطرك في بعض الليالى وهو يعلّمنى من الكتب ويجيبنى عن كلما اساله عنه فسألته** [. . .]» (إقِتْس، ٥، ص ١٣٦؛ قابل سيبولد/هـ، ص ١٧٤؛ سيبولد/ك، ص ١٨١-١٨٢).

«**وقد تركت كثيرًا لم اكتبه** لئلا تطول السيرة ويملّ القارئ» (إقِتْس، ٥، ص ١٤٠؛ قابل سيبولد/ك، ص ١٨٣).

«**وقد تركنا كثير لم نكتبه** ليلا يطول الامر» (سيبولد/هـ، ص١٧٦).

«**وكنت انا لابسًا اسكيم الرهبان بغير استحقاق وكان ابى مويسيس الاسقف يمسك يد الاب الشمال وانا امسك يده اليمين** [سيبولد/هـ: وكان ابي يمسك يدي اليسار بيمينه ويتوكا عليّ] فلما **وصلنا** خيمته خرج الينا السيّاف وهو مخوف جدًا ... فلم يقل [الأنبا مويسيس] لهم كلمة واحدة (لانه ما يعرف ما يقولون له الا ما كنت انا افهمه من كلامهم واقوله له كلمة بعد كلمة) [سيبولد/هـ: . . .] [- : ( )] **ولم يخاطبنى** انا بلفظة واحدة لانهم كانوا ينظرون لباسى زريًا [. . .] فلما سمع مروان [الثاني: ٧٤٤-٧٥٠] هذا قال ترجمانه للاب البطرك انت بطرك الاسكندرية وذلك عن قول مروان [. . .] **وانا انظره بعينى** [. . .]» (إِقْتس، ٥، ص ١٧١-١٧٣؛ قابل سيبولد/هـ، ص ١٨٩؛ سيبولد/ك، ص ١٩٧-١٩٨).

«**فلما دخلوا بنا الحبس استوثقوا منّا بالخشب والحديد ونحن تحت ضيق عظيم** واول من قيد بالحديد الاب القديس البطرك وبعده الاسقف انبا مويسيس [سيبولد/هـ: مسيس؛ سيبولد/ك: موسيس] **وانا ولده يحنّس الفقير البائس الشمّاس الذى وضع يده المقدسة علىّ بغير استحقاق**» (إِقْتس، ٥، ص ١٧٩؛ قابل سيبولد/هـ، ص ١٩٢؛ سيبولد/ك، ص ٢٠١).

«ولولا غرضنا الاختصار لضاقت الكتب عن افعال هذا الاب القديس انبا ميخائيل [سيبولد/ك: خايال]» (إِقْتس، ٥، ص ١٩٨؛ قابل سيبولد/ك، ص٢٠٩-٢١٠).

«ولولا الغرض فى الاختصار لضاقت الصحف في وصف افعال هدا الاب القديس انبا خاييل» (سيبولد/هـ، ص ٢٠٠).

«فاهتم الاب البطرك بالسفر وهو وجع القلب قائلاً **لابـــى مويســـيس** تصحبنى فى هذه الطريق الصعبة فاستعدّ ابى مويسيس للمسير معـــه وابـــا تاودرس اسقف مصر **وانا البائس يونّس**» (إقِتْس، ٥، ص ٢١٢ (هذا النصّ ناقص في سيبولد/هــ بسبب فقدان ورقة من المخطوط) قابـــل ســـيبولد/ك، ص٢١٦).

«وكان مدّة مقامه على الكرسى الانجيلى علـــى مـــا (وجـــدنا فـــي الولثاكى) [سيبولد/هــ: ( ) –) بدير القديس ابى مقار ثلثًا وعشرين سنة ونصفًا» (إقِتْس، ٥، ص ٢١٥؛ قابل سيبولد/هـــــ، ص ٢٠٨؛ ســـيبولد/ك، ص٢١٧).

هذه الجملة الأخيرة ليست للمؤلِّف ولكن لجامع السير موهـــوب بـــن منصور بن مفرِّج.

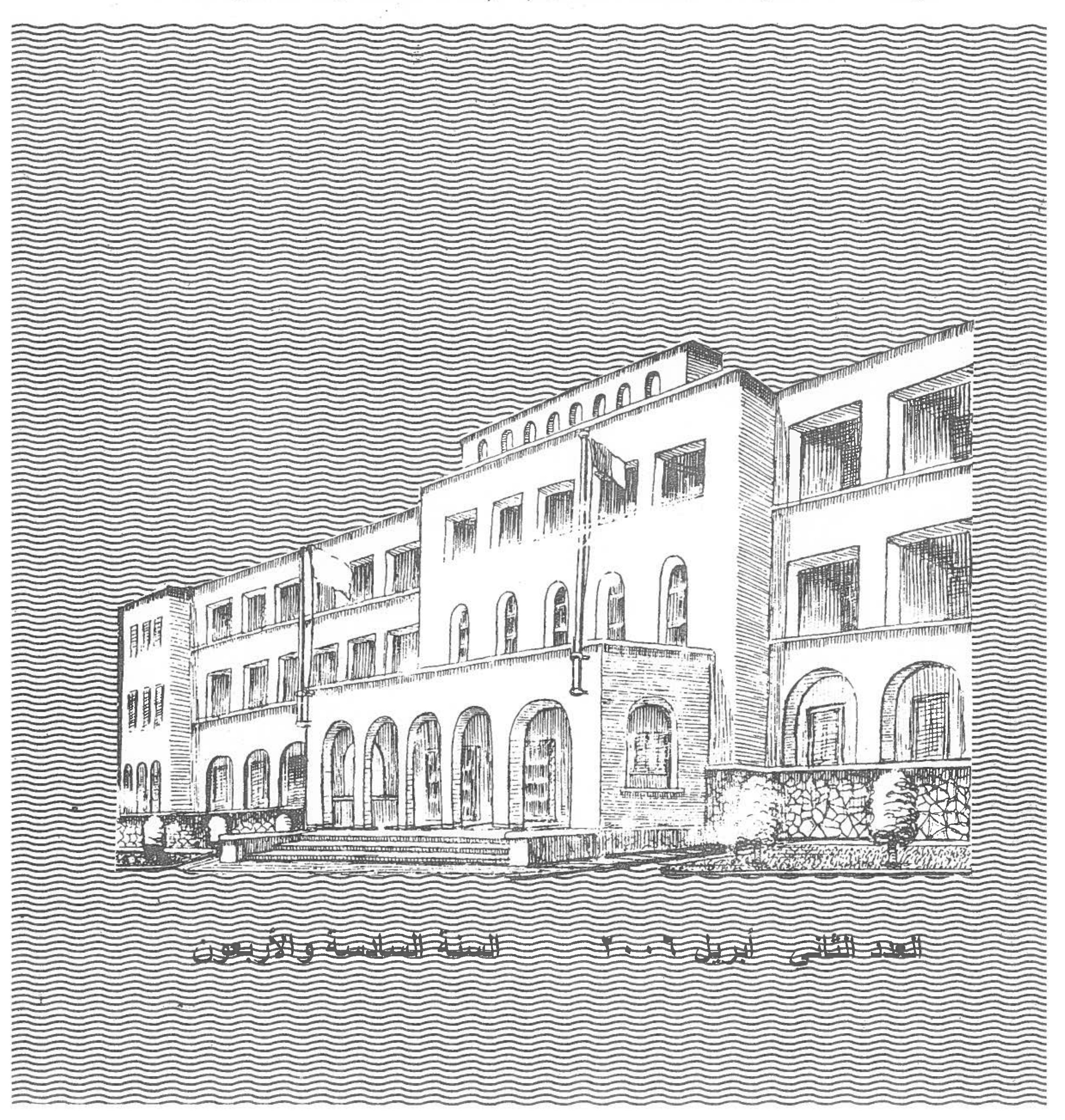
وثمّة إشارة إلى دور هذا المؤرِّخ (يـــوحنّيس، أو يـــؤنّيس)، ولكـــن بصيغة يوحنّا، في بداية الحديث عن الأنبا مينا الأول/٤٧ (٧٦٧-٧٧٤)، في السيرة التاسعة عشرة، وهي من تأليف يوحنّا، تلميذ الأنبا شـــنوده الأول/٥٥ (٨٥٨-٨٨٠):

«... وبعدهما **يوحنّا ابن ابّا مويسيس** [سيبولد/ك: مســـيس] اســـقف وسيم» (إقِتْس، ١٠، ص ٣٦٠؛ قابل سيبولد/ك، ص ٢١٨).

للمقال بقية

صديق الكاهن

مجلة تصدرها كلية العلوم الإنسانية واللاهوتية



العدد الثاني أبريل ٢٠٠٦ السنة السادسة والأربعون

مؤلِّفو سير البيعة من «سير البيعة»

(٥)

تقديم الأخ وديع الفرنسيسكانيّ

٨) يوحنّا كاتب السير ١٩-٢٢: مينا الأوّل/٤٧- شنوده الأوّل/٥٥: السنوات ٧٦٧-٨٨٠ = ١١٣ سنة، تسعة بطاركة

في بداية الحديث عن الأنبا مينا الأوّل/٤٧ (٧٦٧-٧٧٤)، في السيرة التاسعة عشرة، وهي من تأليف يوحنّا، تلميذ الأنبا يوساب الأوّل/٥٢ (٨٣٠-٨٤٩) والأنبا شنوده الأوّل/٥٥ (٨٥٨-٨٨٠)، يشير الكاتب إلى نفسه كخادم لأبّا يوسف والأنبا شنوده الأوّل/٥٥ (٨٥٨-٨٨٠):

«وانا الفقير الزمت من ابى الراهب بمنام رآه لانّه كان شيخًا قديسًا فتقدّم اليّ وامرنى ان اكتب سيرة ابائى الطوبانيين وما شاهدته ونقله لى قوم ثقات وكنت خدمًا **لابى ابّا يوسف وعند رجليه انام** وهو الاب الروحانى الذى طعن في السنّ وكذلك الاب البطرك ابّا شنودة فسألت الربّ الكريم وقلت كما قال داءود ياربّ افتح شفتيّ حتى اقصّ ما جرى على الاباء المغبوطين ربحًا لمن قرأه وشجاعة لمن سمعه» (إقِنْس، ١٠، ص٣٦٠؛ قابل سيبولد/ك، ص٢١٨).

ويشير الكاتب إلى نفسه بصدد الحديث عن الأنبا يوساب الأوّل/٥٢ (٨٣٠-٨٤٩)، في السيرة العشرين:

«وكان انسان سائح من جملتهم اسمه امونة في دير ابى يحنّس وانبا مينا السائح فى جبل ارمون اعطى روح النبوّة وكان يشفى جميع المرضى وشهد له جماعة ان له سلطانًا على الارواح النجسة يخرجها من الناس **وانا**

الحقير العاجز حضرت عنده وخاطبنى بسبب البيعة وكان خصيًا من بطن امّه طاهرًا للّه وكان راهبًا من صبائه فى دير ابى يحنّس وفي زمان خراب البريّة فى اخر سنى البطرك انبا مرقس [الثاني/٤٩: ٧٩٩-٨١٩] وقد ذكرناه انفًا فالتجى هذا الراهب الى بيعة على اسم التلاميذ فى قرية وكان يظهر عجائب كثيرًا من اشفاء الاعلاّء واخراج الشياطين **وحضرت انا الحقير عنده وكان يعلّمنى الكتابة وذلك في عشر سنة من بطركيّة الاب انبا يوساب** [الأوّل/٥٢: ٨٣٠-٨٤٩ = ٨٤٠] كان هذا الشيخ القديس جالسًا في يوم من الايّام يقرأ في سير البيع القديمة وما جرى على الاباء في سابع عشر سيرة للبيعة **فقلت له انا بسذاجة ولا ادرى ما اقول** ما هذا الذى يقول فقال لى بكلمة روح القدس **يا ابنى طوبى لمن كتب واهتمّ بسيرة البطاركة وقال لى** يا ابنى صدّقنى فيما اقوله لك انّه لا يبتدىء احد بثامن عشر [حسب عدّ إڤتْس: بتاسع عشر] سيرة للبيعة حتّى يأتى الذى اسمه ثمنية عشر **وانت الذى تهتمّ بكتابتها** لان الرب يدعوك **فصرت كأننى فى غفلة ولم اقدر ان اسأله عن شىء اخر** وكان هذا الشيخ قد اقام كلّ زمانه سائحًا **وبارك علىّ دفعات وقد اختصرت فيما كتبت وتركت كثيرًا** خوفًا ممّن يقرأ فيما كتبته من خبر هذا القديس الشيخ السائح **وتركت سيرة الاباء وامسكت عن اخبارهم** وقد شرح انبا سويرس اسقف سنبو سيبولد/ك: بسنييوا] في بعض ميامره خبر هذا السائح» (إڤتْس، ١٠، ص ٥٣٢؛ قابل سيبولد/ك، ص ٢٩٣-٢٩٤).

هذه الجملة الأخيرة قد تحلّ مسألة نسبة كتاب إلى سويرُس بن المقفّع، بعنوان «كتاب السير». من الممكن أنّ يكون كتاب السير الذي وضعه سويرُس أسقف سنبو قد نُسِب إلى سويرُس بن المقفّع، ثمّ جرى الخلط بين كتاب «السير» و«سير البيعة».

وبعد ذلك بقليل يشير الكاتب إلى نفسه، ويذكر سيرة الأنبا ديوسكورُس المنسوبة إلى ثيئوپيستُس، وهي المرة الوحيدة التي يذكر فيها «سير البيعة» هذا المصدر المهمّ، الذي يبدو أنّ المؤرّخين الآخرين لم يعرفوه:

«**فلمّا سمعت انا الحاطئ كاتب هذه السيرة هذا فصرت مثل الشمّاس المحبّ للّه تاوفسطس** [سيبولد/ك: تاوغنسطس] عند كونه مع الأب القديس ديسقرس في جزيرة غاغرا بسبب الرجل الاعسم الذى عوفى بدم يد المعترف فأمنت ان الرب يفعل مع هذا الاب ما يبرئ ولد هذا الانسان **وفيما انا مفتكر في هذا اراد الرب ان يزيدنى فى هذا القديس امانًا فأمرنى ان آخذ ورقة ودواة واكتب فيها يقول يوساب** [الأول/٥٢: ٨٣٠-٨٤٠] الحقير اصغر البطاركة جميعهم ويامرك ايّها الروح النجس ان تخرج من عبد المسيح الاهنا ولا تعود اليه فيما بعد بقوّة الاب والابن وروح القدس الاله الواحد [. . .]» (إفِتْس، ١٠، ص ٥٣٣-٥٣٤؛ قابل سيبولد/ك، ص ٢٩٥).

ويصف الكاتب نفسه أنّه مِن أولاد الأنبا يوساب، وأنّه كان على معرفة بالأقنوم شنوده البطريرك المقبل، ويشير إلى أنّه سيكتب سيرته:

«ولم يفتر الاب [الأنبا يوساب الأول/٥٢: ٨٣٠-٨٤٠] من البركة على هذا شنودة الاقنوم من عمق قلبه وينظر التذكارات التى يعملها يومًا بعد يوم وبالخاصّة هذه البيعة المقدّسة الجامعة الحسنة **وكان لنا نحن اولاد هذا الاب** محبّة عظيمة لهذا الاقنوم **لما نشاهده من محبّة ابينا له وكان الاب يقول لنا بقوّة** روح **القدس الحال فيه يا اولادى** صدّقونى ان لهذا الاخ تذكارات كثيرة يفعلها وبناء بيع وكنائس وكنّا نسمع هذا منه فنقول ترى انه يبنى بيع اخر في هذا الجبل وكان كلامه كالنبوّة **ونحن لا نعلم حتّى ظهر لنا بعد ذلك ما سوف نذكره وكان فى يد ابينا** عكّاز لطيف دفعه لشنودة الاقنوم وقال له خذ هذا يا ولدى تذكارًا لك **فلمّا رأينا هذا قلنا** ان هذا بسبب امور تظهر لان كلّ افعاله بنعمة روح القدس» (إفِتْس، ١٠، ص ٥٣٩-٥٤٠؛ قابل سيبولد/ك، ص ٢٩٧).

وقرب نهاية الحديث عن يوساب الأوّل يشير الكاتب أنّه شاركه الحبس، ممّا يدلّ على أنّه كان مقربًا منه. وينهي المؤرّخ كلامه بأنّه قدّم عرضًا مختصرًا:

«وانا كاتب هذه السيرة الحقير كنت معه في السجن [. . .] وهذا ما شاهدته بعينى واقتصرت على ما شرحته من كثرة عجائبه ونحن ندعو الى الرب ان يجعل صلواته معنا» (إڤِتْس، ١٠، ٥٤٣–٥٤٥؛ قابل سيبولد/ك، ص٢٩٩).

في السيرة الحادية والعشرين وتشمل: خائيل الثاني/٥٣ (٨٤٩–٨٥١)، وقزما الثاني/٥٤ (٨٥١–٨٥٨)، لا يتحدّث المؤرِّخ بضمير المتكلِّم، ممّا يدلّ أنّه كان غير مشارك في الأحداث، ولا يعني هذا عدم معرفه بهذه الأحداث. ربمّا كان قد عاد إلى الدير بعد وفاة أبيه الروحيّ، الأنبا يوساب الأوّل/٥٢ (٨٣٠–٨٤٩).

في السيرة الثانية والعشرين المخصّصة كلّها للبطريرك شنوده الأوّل/٥٥ (٨٥٨–٨٨٠) يعود المؤرِّخ للحديث بضمير المتكلِّم، ممّا يُظْهِر قربه من البطريرك، ويحدّد في سياق السيرة التاريخ الذي بدأ يكتب فيه، وهو ٨٦٦، ويفصح عن اسمه، وهو يوحنّا:

«وكان ذلك الوقت فى بيعة القديس ابو مقار اقنوم اسمه شنوده **الذى قد كنا ذكرنا** فضائله وبناوه البيعة الذى بدير ابو مقار وغيرها من البيع...» («تاريخ»، ٢، ص ١٣).

«اقول لكم انا الخاطى البايس كاتب هذه السيرة اننى رايت بعينى ذلك انه دفعات شتى ينظر الى السما ويصلب على وجهه ويقول يا ربى يسوع المسيح عيننى وتراءف على وافتقدنى برحمتك **فلما تاملته اول يوم ظهر لى** امرا عجيبا وهو ان في تلك (كذا) التى رايته شاخصا الى السما يقول هذا قد طرى امرا نزل الينا ويشغل قلبه فاعلم انه كان فى تلك الساعة وهكذا كان فى كل ساعة يفعل هذا [. . .] **فسالناه نحن اصحابه ورغبنا اليه** [. . .] فلما سمع **ابونا البطرك** [. . .] فلما اتصل الخبر **بابينا انبا شنوده** [. . .]» («تاريخ»، ٢، ص ٢٢–٢٤).

«... فلم يزالوا الاخوين يتحاربوا ثلثة سنين الى هذه السنة التى كتبنا فيها هذه السيرة وهى سنة اثنين وثمانين وخمسماية للشهدا الاطهار الموافق لملك الاسلام سنة اثنين وخمسين ومايتى للهجرة» («تاريخ»، ٢، ص ٣١).

ويقابل التاريخان سنة ٨٦٦. ويُظْهِر هذا أنّ المؤرّخ بدأ في كتابة السير في حياة الأنبا شنوده الأول/٥٥ (٨٥٨–٨٨٠)، وأتمّها بعد وفاته.

«وانا الحقير المسكين كاتب هذه السيرة كنت اقول من لعله يكتب سيرة هذا الاب ولكثرة امانتى فيه حتى ظهر لى في منامى الرب المسيح وارسل الى الشيخ القديس امونه الذى كنت بدات بذكره وقال لى يا ولدى يوحنا اما تذكر ما قلته لك وانا معك فى الدنيا وانت عندى تتعلم الكتابة ان ليس احد يكتب السيرة الثامنة عشر الى ان ياتى الذى اول اسمه ثمنية عشر وتتم امور عجيبة عظيمة وانت تكون الكاتب لجميع خطابه هذا الذى اول اسمه ثمانية عشر الذى هو ابونا سانوتيوس فبهت ولم اعلم تفسير ما قاله فقال لى اذا ما حسبت من واحد الى ماية التى هى من ⲁ الى ⲣ وجدته سبعة عشر حرف والثامن عشر حرف ⲥ التى هى اول اسم هذا الاب شنوده [الأول/٥٥ (٨٥٨–٨٨٠] قال لى هذا وغاب عنى ولم اشاهده بعدها وظهر ما كان فى تلك الليلة ليعلم كل احد منزلة الابا البطاركة ويمجدوهم الذى تعبوا وصبروا على التجارب وهو اننى نظرت الاب انبا يوساب [الأول/٥٢ (٨٣٠–٨٤٩] البطرك وعليه لباس نور مضى يلمع بمجد عظيم ومعه قوم ايضا نيرين وهو يقولوا لنا دعنا ان نمضى الى المكان الذى خرجنا منه فقال لهم امنوا اننى لا افارق حتي ان يجعل ولدى الاساس الذى اهتم ببنايه وكان اوليك القوم النيرين يقلقونى لاتمم الكلام المقدس وكنت حزين القلب حيث لا اقدر واولايك وانبا يوساب ورايتهم مجتهدين في بنا الاساس ومن بعد قليل رايت عمد قد اقاموها وباركوا على وغابوا عنى فعلمت ان اوليك العمد الابا القديسين الذى اشتهى ان اكتب سيرهم المقدسة ولم اقدر لقلة فهمى فلما

اصبحت قلت لاخوتى الاحبا الذين معى اولاد الاب شنوده المذكور صفة الحال والمنام الذى رايته فعزونى وقووا قلبى لما قلت اننى لا اقدر على تفسير كلام الابا القديسين بل مثل الفقير الحقير اكتب ما تصل اليه استطاعتى ومن ذلك الوقت بدات فى كتابة السيرة الثامنة عشر والتاسعة عشر والعشرين على ما سمعته من لسان الاخوة الثقات المومنين الذين عاينوا ما عاينته انا ايضا بعينى مع اباى القديسين» («تاريخ»، ٢، ص٣٤-٣٥).

«[. .] **وان ابونا المبارك انبا شنوده** [الأوّل/٥٥ (٨٥٨-٨٨٠)] امر يوحنا كاتبه ان يكتب له كتابا [. .] **فقلت له انا الحقير كاتب السيرة يا ابى كيف فقلت هذا** [. .] **فقال لى يا ولدى المبارك** [. .]» («تاريخ»، ٢، ص٥٢).

٩) ميخائيل اسقف تنِّيس كاتب السير٢٣-٢٥: خائيل الثالث/٥٦ - شنوده الثاني/٦٥: السنوات٨٨٠-١٠٤٦ = ١٦٦ سنة، عشر بطاركة

في بداية السيرة الثالثة والعشرين، وهي بداية عمل الأنبا ميخائيل أسقف تِنِّيس، حسب مخطوط باريس ٣٠٣، ورقة ١٦٠جـ، والذي يوده كذلك يوهنّيس دن هير(ص ١٥٣). (صياغة النصّ تعود إلى موهوب بن منصور بن مفرِّج، وهي غير واردة في النشرة: «تاريخ»، ٢، ص ٦٩)، نقرأ

«السيرة التالته والعشرين للبيعه المقدسه **مما شرحه انبا ميخاييل اسقف تنيس ونقلناه من خطه في دير ابو مقار** في اول برموده سنه تمان [دن هير: ثمن] مايه واربعه للشهدا [١٠٨٨م] وفسره الشماس بو حبيب ميخاييل بن بدير الدمنهوري من القبطي من نسخه بخط انبا ميخاييل المذكور قال».

وفي النشرة، في بداية الجزء الثالث من «سير البيعة»، وأوّل السيرة الثالثة والعشرين وتضمّ البطاركة: خائيل الثالث/٥٦ (٨٨٠-٩٠٧)، وغبريّال الأول/٥٧ (٩٠٩-٩٢٠)، وقزما الثالث/٥٨ (٩٢٠-٩٣٢)، ومقاره الأول/٥٩

(٩٣٢-٩٥٢)، وثيئوفنيوس/٦٠ (٩٥٢-٩٥٦)، ومينا الثاني/٦١ (٩٥٦-٩٧٤)، نقرأ اسم المؤرِّخ، ميخائيل أسقف تِنِيس، الذى يحدّد أنّه كتب عن البطاركة حتّى شنوده الثاني/٦٥ (١٠٣٢-١٠٤٦)، الذي رسمه كاهنًا. وهذه المعلومة مهمّة لتبديد الخلط بين شخصيتَي ميخائيل أسقف تِنِيس الدمراويّ وميخائيل الدمنهوريّ الذي كان شمّاسًا سنة ١٠٨٨، وساعد موهوب بن منصور بن مفرِّج في نقل بعض السير من القبطيّ إلى العربيّ (انظر هنا رقم٢). ونسمع كلمات ميخائيل الذي أرَّخ لمدّة ١٦٦ سنة، وهي أطول فترة أرَّخ لهذا شخص واحد:

«**قال الاب الفاضل انبا ميخاييل اسقف تنيس** [هذه الجملة بالطبع ليست لميخائيل المؤلِّف بل لعلّها ليوحنّا بن صاعد بن القلزميّ] ان من الواجب يا احباى لاجل المحبة المسيحية ان نسطر ما اخر تسطيره مما كان فى البيعة الارتدكسية الذى شاهده وعرفه اوليك الرعاة فى كل جيل، وكانوا خداما للكلمة وطلبت من اللّه سبحانه اعانة ضعفى انا البايس الخاطى لابتدى واجعل لسانى الناقص قلم سريع الكتابة لكيما يتحرك بموهبة الروح القدس، فاكتب ما سمعته وعرفته من الصادقين الذى يقبل قولهم، ونسلك منهاج من تقدمنا الذين نالوا النعمة، لان هذا الامر كان خطر ببالى ان اكمله، وتشبهت بالامراة الارملة التى القت في الخزانة الفلسين الحقيرين ولم يكن لها غيرهما فقبلهما الرب فاحص القلوب منها، ووجدت الذى تضمنته السير التى رتبها الابا القديسين بقوة الروح القدس هو ما جرت عليه البيعة من زمان الاب القديس الانجيلى مارى مرقص البكر الطاهر الشهيد، والى زمان الانبا سانوتيوس [الأول/٥٥: ٨٥٨-٨٨٠]، وهو الخامس والخمسين المرسوم بطريركا بعد انبا قسما [الثاني/٤٥: ٨٥١-٨٥٨]، وهذا الاب سانوتيوس هو الذى لحقه شدايد عظيمة حسب ما تضمنته سيرته ومن بعده الى زمان انبا سانوتيوس [الثاني/٦٥: ١٠٣٢-١٠٤٦] الخامس والستون **الذى وسمنى انا الغير مستحق قسا لم يكتب شى من السير، فكتبت انا البايس ميخاييل** ذلك بمعونة اللّه سبحنه لى» («تاريخ»، ٢، ص ٦٩-٧٠).

في السيرة الرابعة والعشرين، وتضمّ: أبرام بن زرعة/٦٢ (٩٧٥-٩٧٨)، وفيلوثيئوس الأول/٦٣ (٩٧٩-١٠٠٣)، يشير الكاتب إلى نفسه، مرّتين، بصدد الحديث عن الثاني:

«واتفق حضور شماس من اهل منوف اسمه تيدر ابن مينا وكان يوميذا كاتب السنوديقا بكرسى مارى مرقص **وهو الذى اخذت انا الحقير ميخاييل ناظم هذه السيرة خدمته بعد وفاته** [. . .] **وهذا الشماس تيدر هو الذى شرح لى حال هذا القديس بولس ابن رجا** من اوله الى اخره عن حكايته له من فمه الصادق فكتبت ما قاله...» («تاريخ»، ٢، ص ١٢٢).

«**ورايت انا ميخاييل** منهم انسان فى زمان غلا وهو يتسول. وفى ايامه [فيلوثيئوس الأول/٦٣ (٩٧٩-١٠٠٣)] مات العزيز [٩٧٥-٩٩٦] ملك مصر وجلس ولده الحاكم [بأمر اللّه: ٩٩٦-١٠٢١] وكان صغيرا جدا وكانت له امور عجيبة وسنذكر شيا منها بمعونة اللّه الذى له المجد والقدرة الى ابد الابدين امين» («تاريخ»، ٢، ص ١١٥).

ومن الملاحظ أنّ ميخائيل بصدد الحديث عن فيلوثيئوس الأول/٦٣ (٩٧٩-١٠٠٣)، يستخدم مرّتين صيغة «قيل» (انظر «تاريخ»، ٢، ص ١١٣، ١١٥)، ممّا يدلّ أنّه لم يكن شاهد عيان وغير متابع للأحداث بصفة شخصيّة. وينطبق هذا الكلام أكثر على حياة البطريرك السابق، أبرام بن زرعة /٦٢ (٩٧٥-٩٧٨).

وفي السيرة الخامسة والعشرين، وتضمّ: زخارياس/٦٤ (١٠٠٤-١٠٣٢)، وشنوده الثاني/٦٥ (١٠٣٢-١٠٤٦)، يشير الكاتب إلى نفسه، أكثر من مرّة، ويحدّ التاريخ الذي كان يكتب فيه، وهو سنة ٧٦٧ ش، أيْ ١٠٥٠. وفي سياق الحديث عن زخارياس، يضع المؤرّخ حدثًا كان مشاركًا فيه، ولكن أثناء بطريركيّة خرِسْتوذولس/٦٦ (١٠٤٧-١٠٧٧). وبصدد الحديث عن شنوده الثاني، يقدّم المؤرّخ معلومات شخصيّة، نعرف منها نسبته، وهي «دمراويّ»، وأنّه رُسِم شمّاسًا بيد زخارياس/٦٤ (١٠٠٤-١٠٣٢)، وكاهنًا بيد شنوده الثاني/٦٥ (١٠٣٢-١٠٤٦)، وأسقفًا بيد خرِسْتوذولُس/٦٦

(١٠٤٧-١٠٧٧)، سنة ١٠٤٧/١٠٤٨، وأنّه انجز تاريخه سنة ٧٦٧ ش، أيْ ١٠٥٠. وهذا المعطيات الشخصيّة تنفي التوحيد بين شخصيّة ميخائيل الدمراويّ أسقف تِنِّيس، وشخصيّة ميخائيل الشمّاس الدمنهوريّ، الذي ساعد موهوب بن منصور بن مفرِّج في ترجمة بعض السير من القبطيّ إلى العربيّ، سنة ١٠٨٨. ونقدّم النصوص التي تهمّنا:

«واعلمكم عجوبة اخرى **اعلمنى بها ابى الجسدانى وكانت صناعته بنا وكان فيه دين ومحبة لانى انا البايس ميخاييل كنت طفلا فى زمان هذا الضيق** [فترة تملّك الحاكم بأمر اللّه: ٦٩٩-١٢٠١] **فاخذنى معه يوما وهو متوجه الى ضيعة يبنى فيها وكنت اتعلم منه صنعة النجارة لانه كان بنا ونجار** [. . .]» («تاريخ»، ٢، ص ١٣٣).

«[. . .] وكان يكلمنى بالقبطى واوليك المسلمين لا يعرفوا ما يقول لى [. . .]» («تاريخ»، ٢، ص ١٣٤).

«[. .] وكان فى ايامه [الظاهر لإعزاز دين اللّه: ١٠٢١-١٠٣٥] هدوء وسلامة عظيمة واقام ستة عشر سنة ملكا وكان دين النصارى مستقيم واهله مكرمين، وبنيت البيع فى ايامه حتى اعيدت لما كانت عليه وافضل، ولم يزل البنا فيها والعمارة متصلة **الى السنة التى كتبت فيها هذه السيرة وهى سنة سبع ماية سبعة وستين للشهدا** [١٠٥٠]» («تاريخ»، ٢، ص١٣٧).

«**ولما وصلت انا البايس ميخاييل** وانا غبريال اسقف صا الى هذا البطرك [السريانيّ يوحنّا بن عبدون] القديس بالرسالة السنوديقا من جهة اخرسطودولس [٦٦: ١٠٤٧-١٠٧٧] عند جلوسه على كرسى الاسكندرية واعمالها راينا منه قدس عظيم، **ولما انفصلنا عنه اكرمنا وانفذ ابن اخيه معنا لننظر المدينة** والخلق الذى فيها [. . .]» («تاريخ»، ٢، ص ١٤٢).

«**وتلميذه اخبرنى انا ميخاييل كاتب هذه السيرة بذلك لما مضيت الى كرسى انطاكية بعد ان صرت اسقفا على كرسى مدينة تنيس واعمالها ومعى انبا غبريال اسقف صا بالرسالة السنوديقا التى كتبها انبا اخرسطودلوس**

بطريرك الاسكندرية الى ابا يوحنا المقدم ذكره فى سنة سبع مايــة خمســة وستون للشهدا [١٠٤٨]» («تاريخ»، ٢، ص ١٤٧).

«**وعرفنى الثقات المامونين عن الاب زخاريــاس عجايــب كثيــرة** [. . .]» («تاريخ»، ٢، ص ١٤٨).

«وذكر الشيخ علم الكفاه ابو يحيى اصطفن ابن مينا التوريجى الكاتب انه مضى مع عما له اسمه زكير الى دمروا وسلموا على الاب انبا زخارياس [. . .]» («تاريخ»، ٢، ص ١٥٠).

«**واقول انا البايس ميخاييل يشهد الرب على لقد رايته يوما** يخاطبه فى هذا الامر فلم يخاطبه بكلمة واحدة، فبكا ولطم خديه وقلع ثياب الاسـقفية رماها ووقع مرتعدا كمثل الميت او كمن به شيطان **فاقمناه ورفقنا به الى ان اهتدا وعاد اليه عقله وكتبنا له كتاب** [. . .]» («تاريخ»، ٢، ص ١٥٤).

«فقال له اكتب خطك بالرضا بهذا فكتب بذلك خطــه فاخــذه بقيــرة وانصرف، **وكنت انا البايس ميخاييل الغير مستحق ان ادعا اسقف تنــيس حاضرا وانا يوميذا شماس ففرحت بهذا الامر وساعدت عليه وكان جعلنــى كاتبه لان قوما من اصحابه وصفونى له فاخذنى اكتب له**» («تــاريخ»، ٢، ص ١٥٥).

«وكانت مدة بطركيته خمسة عشر سنة ونصف وتنيح **وانــا جــالس وغمضت عينيه بيدى، واجتمعنا للصلاة عليه ودفناه** في الكنيســة الكبــرى بدمروا الذى كان بناها انبا زخارياس البطرك وكملها هذا الاب شنوده رزقنا اللّه بركة صلواته وانفق فيها مالا كثيرا لانه كان انذر ذلك قبــل ان يصــير بطركا» («تاريخ»، ٢، ص ١٥٨).

«[. . .] **وهو الذى رايته وسمعته وكتبته لاخوتــك انــا البــايس ميخاييل الدمراوى الذى الذى قسمنى الاب ابــن زخاريــاس** [٦٤: ١٠٠٤-١٠٣٢] **شماسا وجعلنى انبا شـنوده** [الثــاني/٦٥: ١٠٣٢-١٠٤٦] **قســا وصيرنى انبا اخرسطودلوس** [٦٦: ١٠٤٧-١٠٧٧] **اسقفا على مدينة تنيس واعمالها بغير استحقاق منى لهذه الرتبة الجليلة**. وكملت هذه السـيرة فــى

اليوم الخامس والعشرين من بشنس **سنة سبع مأية سبعة وستين للشهدا** [١٠٥٠] الابرار **بقدر ما وصلت معرفتى اليه ليكون تذكار لى عند من يقراه**، والمجد للاب والابن والروح القدس الان وكل اوان والى دهر الداهرين امين» («تاريخ»، ٢، ص ١٥٩).

ويشهد موهوب بن منصور بن مفرِّج، في مقدمة عمله (انظر اسفل) لدور ميخائيل في كتابة سير عشر بطاركة:

«ووجدنا فى دير ابو مقار سيرة عشرة بطاركة من خايال السادس والخمسون الى سانوتيوس الخامس والستون، **كتبها ميخاييل اسقف تنيس** وهى بخط لقوط ولده» («تاريخ»، ٢، ص ١٦١

ثمّ يشهد له أيضًا كمؤرِّخ لسير عشرة بطاركة، من خائيل الثالث/٦٥ (٨٨٠-٩٠٧) إلى شنوده الثاني/٦٥ (١٠٣٢-١٠٤٧)، وذهابه وهو أسقف، سنة ١٠٤٨، إلى سوريا، بصدد الحديث عن خرِسْتوذولُس/٦٦ (١٠٤٧-١٠٧٧). ويتردّد ذكر ميخائيل عدّة مرّات، في مناسبات مختلفة:

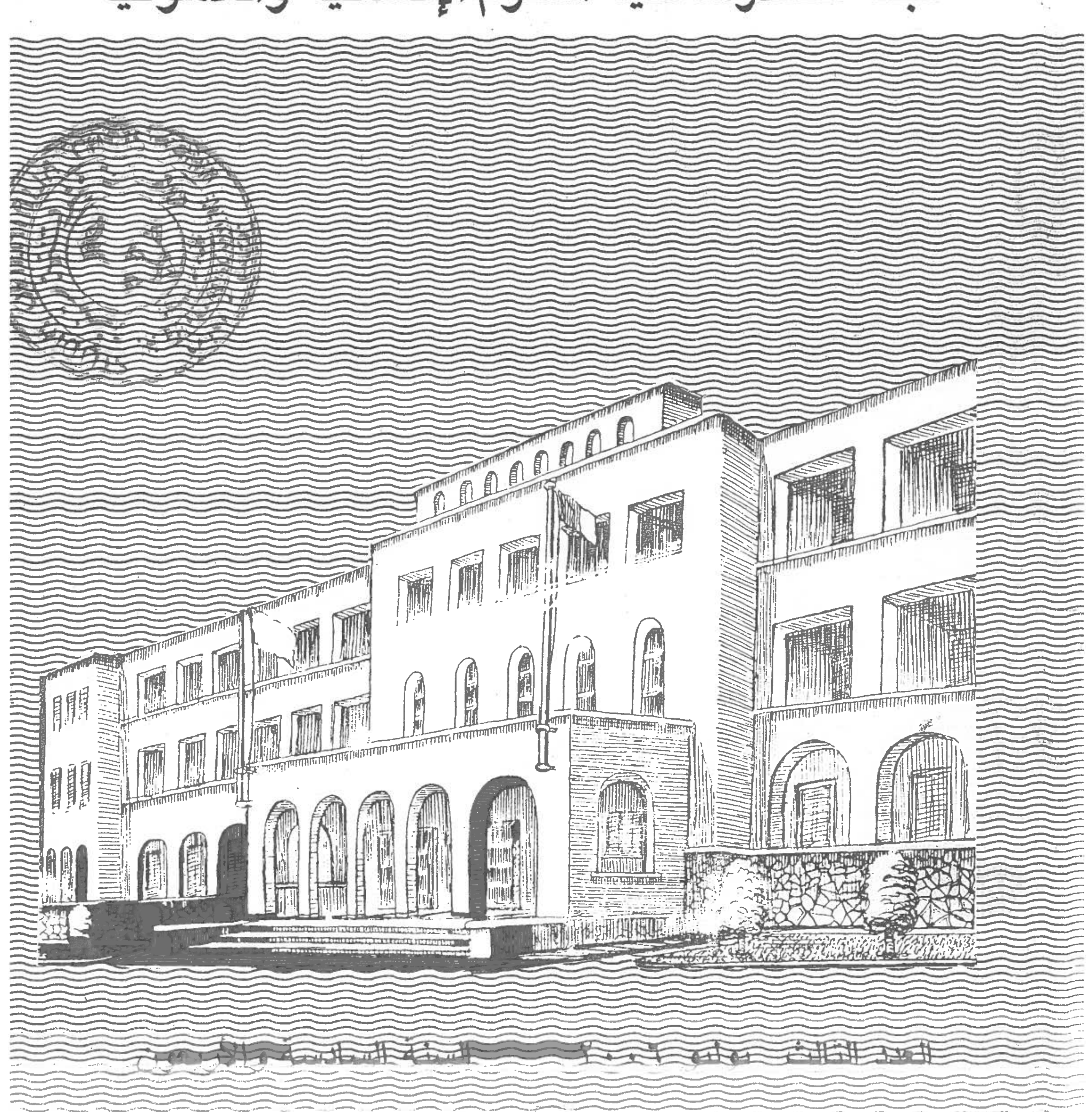
«وبعد هذه الايام قسم الاب انبا اخرسطودلوس كاتب له يعرف بأنبا ميخاييل على اسقف على كرسى تنيس، وكان فاضل عالم وهو الذى كتب سيرة عشرة بطاركة اولهم خايال الثلثة واخرهم شنوده، ولما عول البطرك على مكاتبة انبا يوحنا بطرك انطاكية تقدم اليه بذلك وكتب عنه السنوديقا وسار بها هو وانبا غبريال القديس اسقف صا، وكان شيخ رايته عند دخوله الاسكندرية في تكريز أنبا اخرسطودلوس... وأنبا ميخاييل اسقف تنيس كاتب السنوديقا المقدم ذكره [. . .]» («تاريخ»، ٢، ص ١٧٢).

«وتحدث انبا ميخاييل اسقف تنيس بما شاهده وسمعه من عجايب ابونا انبا يوحنا ويغنينا عن ذكر ذلك ما شرحه انبا ميخاييل في السيرة التى ذكرها» («تاريخ»، ٢، ١٧٤٢).

للمقال بقية

صديق الكاهن

مجلة تصدرها كلية العلوم الإنسانية واللاهوتية



العدد الثالث يوليو ٢٠٠٦ السنة السادسة والأربعون

مؤلِّفو سير البيعة من «سير البيعة» (٦)

تقديم الأخ وديع الفرنسيسكانيّ

١٠) موهوب بن منصور بن مفرِّج الاسكندرانيّ جامع السير وكاتب السيرة ٢٦: خرِستُوذولُس/٦٦-كيرلُّس الثاني/٦٧: السنوات ١٠٤٧-١٠٩٢ = ٤٥ سنة، بطريركان

في بداية السيرة الثالثة والعشرين، وهي بداية عمل الأنبا ميخائيل أسقف تنِّيس. ولا يرد هذا النصّ في الكتاب المطبوع، ولكن في مخطوط باريس ٣٠٣، ورقة ١٦٠جـ، ويورده كذلك يوهنّيس دن هير(ص ١٥٣)، يشير موهوب بن منصور بن مفرِّج إلى عمل الأنبا ميخائيل في كتابة حياة مجموعة من البطاركة بالقبطيّ، وقيام الشمّاس ميخائيل بن بدير الدمنهوريّ بترجمتها إلى العربيّ، وقد ذكرنا النصّ سابقًا (هنا رقم ٩).

في نهاية السيرة الخامسة والعشرين، التي تضم حياة البطريرك شنوده الثاني/٦٥ (١٠٣٢-١٠٤٦)، وقبل بدء السيرة السادسة والعشرين المخصّصة لاثنين من البطاركة وهما: خرِسْتوذولُس/٦٧ (١٠٤٧-١٠٧٧)، وكيرلُّس الثاني/٦٧ (١٠٧٨-١٠٩٢)، يشرح موهوب بن منصور بن مفرِّج الاسكندرانيّ ما قام به من جَمْع السير، بمساعدة الشمّاس ميخائيل أبي حبيب الدمنهوريّ، وذلك سنة ١٠٨٨. ويذكر المؤرِّخ السلطات الكنسيّة والمدنيّة والحالة الرهبانيّة، وقت بداية العمل، والأماكن التي وجد فيها السير السابقة. ويدلّ كلام موهوب أنّ هناك مَن سبقه في ترتيب السير. وفي الواقع، إنّ

توزيع أحد البطاركة، أو أكثر من واحد على سير مرقّمة هو أمر سابق على موهوب. ويُعتبَر النصّ الذي يصدّر به موهوب عمله في غاية الأهميّة، ويتشابه مع النصّ الوارد في المقدّمة، ممّا يدلّ أنّ النصّين له هو، وليس لسويرُس بن المقفّع:

«**قال موهوب ابن منصور ابن مفرج الاسكندرانى الشماس** انه لما كان من تقدم من السلف الاخيار رزقنا اللّه بركتهم قد اهتم وكتب سيرة البيعة ورتبها وشرح امور البطاركة على كرسي البشير مارى مرقص الانجيلى بالاسكندرية وما جرى لهم، وما اظهره اللّه سبحنه على يديهم من العجايب، وايدهم به من الصبر والجهاد وقوة الامانة وارشادهم لرعيتهم وهدايتهم تيتهم الى الامانة المستقيمة وتعليمهم الوصايا الانجيلية كما امرهم الرب جل اسمه، **اشتهيت انا الخاطى البايس ان اجمع سيرهم واكتبهم ليكون ذلك ربحا لى ولمن يقراه بعدى، فاستعنت باللّه تعالى ذكره، وصرت الى دير القديس ابو مقار بوادى هبيب المقدس، فوجدت** [سنة ٨٠٤ش، أيْ ١٠٨٨] **الشماس ابا حبيب ميخاييل ابن بدير الدمنهورى وكان هناك الاب انبا كيرلص** [الثاني/٦٧: ١٠٧٨-١٠٩٢] **ومعه ثلثة اساقفة وهم انبا غبريال اسقف البحيرة وانبا ابرهام اسقف دبقوا وانبا خايال اسقف نوسا الذى من بوره، وذلك في برمهات سنة ثمان ماية واربعة للشهدا** [١٠٨٨]، **الموافقة لسنة اربع ماية ستة وسبعين الخراجية، وهو المحرم من سنة ثمانين واربع ماية الهلالية** [١٠٨٨]، **وهي السنة العاشرة من بطركيته** [١٠٨٨]، وفى البرية المذكورة يوميذ تقدير سبع ماية راهب، منها فى دير ابو مقار اربع ماية، وفى دير ابو يحنس ماية خمسة وستين، وفى دير ابو كما خمسة وعشرين، وفى دير برموس عشرين، وفى دير ابو بشيه اربعين، وفى دير السريان ستين، وفي مغارة ابو موسى راهبين سريانى وقبطى سوا السواح الذى **لم نراهم ولم نعرفهم**. وكان يوميذ ملك مصر الامام المستنصر باللّه [١٠٣٥-١٠٩٤] جلس فى الملك احد وخمسين سنة خراجية، لانه ولد يوم الثلثا السادس عشر

من جمادى الاخر سنة اربع ماية وعشرين الهلالية [١٠٢٩]، وجلس فى المملكة وعمره سبع سنين في يوم الاحد النصف من شعبان سنة اربع ماية وسبعة وعشرين الهلالية [١٠٣٥]، الموافق لبرموده سنة اربع ماية خمسة وعشرين الخراجية، ومتولى الامر والوزارة والنظر فى المملكة يوميذ السيد الاجل امير الجيوش سيف الاسلام بدر الجمالى، وهى السنة الرابعة عشر منذ دخوله الى مملكة ديار مصر من عكا، لانه كان واليا ومنها جا الى القاهرة فى العشر الاول من طوبه، وهى صخرة امير الجيوش التى تعرف بديار مصر الى الان ولا تعرف بغيرها، **وتحدثت مع الشماس ابو حبيب الدمنهورى المقدم ذكره فيما عولت عليه من جمع سير البطاركة، فاتفق راينا على البحث عنها وطلبها حيث ما كانت، فوجدنا في دير السيدة بنهيا منها سيرة اثنين واربعين بطرك من مارى مرقس الانجيلى الى سيمون** [الأول/٤٢: ٦٨٩-٧٠١]]، **ووجدنا في دير الشهيد الجليل تادرس على المنهى بابلاج سيرة اربعة بطاركة من الاكسندروس** [الثاني/٤٣: ٧٠٥-٧٣٠] **الى خايال** [الأول/٤٦: ٧٤٤-٧٦٧] **وهو تمان ستة واربعين بطرك، ووجدنا في دير نهيا ايضا تسعة بطاركة من انبا مينا** [الأول/٤٧: ٧٦٧-٧٧٤] **الى شنوده** [الأول/٥٥: ٨٥٨-٨٨٠] **وهو تمام خمسة وخمسون بطركا، ووجدنا فى دير ابو مقار سيرة عشر بطاركة من خايال** [الثالث/٥٦: ٨٨٠-٩٠٧] **السادس والخمسون الى سانوتيوس** [الثاني/٦٥: ١٠٣٢-١٠٤٦] **الخامس والستون، كتبها ميخاييل اسقف تنيس وهى بخط لقوط ولده، فلما كملت لى هذه السير ونسختها بخطى وصارت عندى بالاسكندرية، وجب الان ان ابتدى واشرح ما يتلوا ذلك، وهى سيرة الاب القديس ابا اخرسطودولس البطرك** [/٦٦: ١٠٤٧-١٠٧٧] **ومن جلس بعده** [كيرلس الثاني/٦٧: ١٠٧٨-١٠٩٢]، **وجعلتها بمقتضى سياقة عدد السنين التي قبلها»** («تاريخ»، ٢، ص ١٥٩-١٦١).

وفي ثنايا حياة خرِستُوذولُس/٦٦ [١٠٤٧-١٠٧٧]، يُظْهِر المؤرِّخُ معرفته بالبطريرك. ويبدو، مِن الأخبار التي يذكرها موهوب عن نفسه وعن أسرته، انّه كان من أعيانِ الاسكندريّة، وصاحب نفوذ بها، ولكنه هو وأفراد في أسرته عانوا من الحكّام المدنيين. وقد قُتِل أخوه على يدهم. ويعرّفنا الكاتب بكنية أبيه، وهي أبو الفتح، وباسم خالٍ له، وهو صدقة بن سرور، واسم أخيه، وهو أبو العلاء فهد. وهوذا النصوص التي تهمّنا:

«[. . .] **رأيته انا الخاطى واضع هذه السيرة وتقرّبت من يده دفعات واستعلمت قصته من الرهبان، فعرفونى** [. . .]» («تاريخ»، ٢، ص ١٦٣).

«[. . .] **وسمعت انا موهوب الخاطى من فم هذا الاب** [خرِستُوذولُس] أنه لما كان فى الصومعة رأى فى منامه القديسين بطرس ومرقس وقد سلما له ضبارة مفاتيح كبيرة مشدودة [. . .] **وسمعت** من فاه يوم تكريزه لهذه البيعة أنه رأى فى منامه يوحنا الإنجيلى قايمًا فى هذه البيعة وفى يده مجمرة ذهب مملوة بخور، وعرفنى إنسان آخر كان بايت فى هذه البيعة [. . .] («تاريخ»، ٢، ص ١٦٥).

«[. . .] فأخذوا الصندون الذى فيه الراس [رأس ماري مرقس] وحملوه الى دار جبريل ابن قزمان لان داره كانت قريبة من دار ابو يحيى، **فلما كان بالليل حملوه الى دار والدى التى كنا نسكنها وقالوا لنا خفنا ان نجعله بحيث نقلناه اليه لقربه من دار الشيخ ابو يحيى زكريا لانه قد مات الساعة فاجعله عندك، فوقف والدى فى الدهليز وحلف أنه لا يدخل داره خوفًا من السلطان لأنه كان قد لقى قبل ذلك مصادرة وغرامة وامور صعبة،** فاخذه سرور ابن مطروح ومضى به الى داره وكانت مقابلة الدار المذكورة،

فقال له القس سيمون الذى صار الآن أسقفًا على تنيس [. . .] **فوصل الأمر بالقبض على والدى والجماعة الذين كانوا معه [. . .] وحمل والدى الى مصر دون الجماعة وطالبه [. . .] فقال له والدى ما رأيته ولا أخذته وهوذا أنا بين يديك فاعتقله وعلم والدى والجماعة أن هذا ناله بسبب أنه لم يأخذه ورده من باب داره فأقام معتقل سبعة وثلثين يومًا** وكان سجّان الحبس رجل مسلم اسمه بركات لوالدى صبيحة اليوم السابع والثلثين يا شيخ أبو الفتح [. . .] **وهو يقول يا أبو الفتح ابن مفرج [. . .] فقال له والدى [. . .]** فلما توفى [. . .] **واحضر والدى** [. . . («تاريخ»، ٢، ص ١٧٥–١٧٦).

«[. . .] حتى أنه لما أمر البازورى بغلق البيع **احضرنى أنا الخاطى وخالى صدقة ابن سرور لأنا كنا نخدمه في مهماته وقال لنا [. . .] ففعلنا ذلك»** («تاريخ»، ٢، ص ١٧٨).

«**وكان يظهر لنا** من رأس القديس مرقص **لما أخذته عندى** عجايب عظيمة منها أن أخى أبو العلا نيح اللّه نفسه كان قد شك فيه وقال فى قلبه أترى هذه رأس القديس مارى مرقس أم لا ولم يعلم ذلك إلا اللّه تعالى، **فلما نمت تلك الليلة ظهر لى القديس مارى مرقس وقال لى أخوك فهد قد شك فىّ فلما أصبحت أعلمت أخى بذلك وكنا فى بيعة أبو سرجه أنا وخالى صدقة ابن سرور والراهب يعقوب فلما سمع قولى تعجب وارتعب واعترف بما خامر قلبه وأعلمنا ما كان منه ومضى إلى حيث رأس القديس وصلاّ وبكا وسأله الصفح عنه»** («تاريخ»، ٢، ص ١٨١).

وثمّة تدخّل من يوحنّا بن صاعد بن القلزميّ في نصّ موهوب، سنذكره فيما بعد، وبعده مباشرةً يكتب موهوب:

«قال واضع هذه السيرة وحدثنى القس يونس ريس دير نهيا المقدم ذكره [. . . .]» («تاريخ»، ص، ص ١٨٧).

ويقدّم المؤرّخ معلومات هامّة عن القدّيس بيسوس وعلاقته به:

«وكان فى البرية بوادى هبيب بدير ابو كما راهب قديس اسمه بسوس عليه نعمة عظيمة وموهبة روح القدس كانت حالّة عليه وشاهدت وسمعت منه عجايب كثيرة منها **اننا لما سمعنا خبره ونحن في الاسكندرية من راهب قس يسمى ابو يعقوب وهو رجل قد تصدّق بمال عظيم وترهب فخرجنا جماعة الى الديارات فى طوبه سنة سبع مايه ثمنية وسبعين للشهد** [١٠٦١] **واخذنا بركة راهب قديس** أيضًا اسمه يعقوب قمص دير برموس وهو اخو الاب اخرسطودلوس البطرك فى الرهبنة كان له أيضًا عجايب وامور كثيرة، **ومضينا الى دير ابو كما وبتنا عند القديس بسوس فاكلنا مما احضره لنا وكنا احد عشر رجلا واتانا بجرّة صغيرة وبارك عليها فشربنا منها كلنا الى ان قاربنا لنسكر ولم تنقص الجرّة الا الى مقدار نصفها ولما اصبحنا سالنا الا ندع احد من اراخنة مصر الذين يخرجون الى تلك البرية للغطاس [. . .] فودعناه ومضينا الى دير ابو مقار فوجدنا جماعة كبيرة من اراخنة مصر... فاعلمناه ما قاله لنا [. . .] وجرت فى هذا خطوب كثيرة اوجبت ان سرت انا وابن عمه الثقات ابو الطيب بشويه ابن يحنس الى دير ابو يحنس... فخليته في دير ابو يحنس ومضيت انا الى دير ابو كما واجتمعت بالقديس بسوس واعلمته ما جرى ولم ازل به الى ان استقر مسيره اليه الى دير ابو مقار فخرج من الدير بعد غروب الشمس بساعة ومضيت انا الى دير ابو يحنس وبت فيه مع الشيخ ابو الطيب فلما اصبحت مضيت الى دير ابو كما لاسل عنه فقال لى الراهب [. . .] فظننت انه لم**

يمضى الى دير ابو مقار [. . .] فدخلت اليه مبتسما فعرف اننى ظننت انه لم يمضى الى دير ابو مقار. فلما سلمت عليه واخذت بركته قال لى مضيت واجتمعت بالرجل، فسالته متى وصل اليه ومتى عاد [. . .] فقال لى [. . .] فقلت له [. . .] قال [. . .] ووجدت عنده اخوك ابو العلا فهد ودميان قريبك الاشهل العينين ايضًا وتحدث معه بالقبطى، فلما قال لى هذا خرجت [. . .] وركبت دابتى واسرعت السير فوصلت الى دير ابو مقار [. . .] فدخلت مع الشيخ ابو الطيب [. . .] فقال لنا [. . .] قلت له [. . .] قال [. . .] قلت [. . .] فقلت لهم [. . .] وايضًا كان اخى ابو العلا نيّح اللّه نفسه قد عاقبه امير الجيوش [. . .] فكتبت الى القديس بسوس المذكور [. . .] وسيرت الكتاب مع راهب [. . .] فلما اوصل اليه كتابى انفذ الى رهبان [. . .] وحكى لنا الشماس ابو حبيب ميخاييل ابن بدير الدمنهورى [. . .] وحكى لى الشماس يونس الراهب [. . .] وحكى لى جماعة من اولاده بدير ابو كما منهم مقاره النوبى انه اعلمهم بقتل اخى فهد قبول وصول الخبر بقتله بيومين وانهم تقصّوا عن الوقت الذى قتل فيه فوجدوه الذى اخبرهم فيه بقتله» («تاريخ»، ص ١٨٧-١٩٣).

ويتحدّث المؤرّخ عن قدّيس آخر:

«وحدثنى **يسطس السنجارى القس** ببيعة ابو مرقوره الشهيد الجليل بمصر [. . .]» («تاريخ»، ٢، ص ١٩٣).

ويحكى عن قديس ثالث:

«وكان بنوسا شيخ اطروش قديس حبيس في صومعة اسمه شنوده **فانفذت له اساله ان يدعوا لى ولاخى فهد بالخلاص** وكنا يوميذ فى يد امير الجيوش فى القبض فعاد الى الجواب منه غداة يوم الجمعة قايلا قد خلصكم السيد المسيح اليوم، **فما كان ثانى يوم وصل الى كتاب من اخى من مصر** يذكر فيه وصوله اليها وانه دخل الى امير الجبوش غداة يوم الجمعة بمال باع به الرباع التى كانت لى بالاسكندرية وانه اخذه منه وسامحه بالباقى **من خط**

كنت الزمت حتى كتبته بخمسة الف دينار وهو الفى دينار ورفع عنه الترسيم ويقول فيه وقد احسن الله خلاصنا فى هذه الساعة وهى الساعة التى ذكرها شنوده القديس الحبيس، **وحكى لى خالى صدقة ابن سرور نيح الله نفسه** عن حكاية مرقوره الشماس [. . .] **اعلمنى ابو يعقوب الراهب** [. . .] **وكان يتحدث معى** [. . .] **وكان بينى وبينه مودّة لنزوله فى دار الوكالة الذى لى وكنت قد سمعت من جماعة من تجار من الاندلس** [. . .] **سالته عن صحة ذلك** [...] » («تاريخ»، ٢، ص ١٩٤-١٩٦).

وفى نهاية حياة خرِسْتوذولُس، يعد موهوب بكتابة سيرة حياة خليفته، وهو كيرلُّس الثاني/٦٧ (١٠٧٨-١٠٩٢):

«[. . .] وكان وصوله بها فى ايام القديس كيرلص بطرك الاسكندرية رزقنا الله بركة صلاته **وسنذكر ذلك فى سيرته**» («تاريخ»، ٢، ص ٢٠٧).

وفى بداية حياة كيرلُّس الثاني/٦ (١٠٧٨-١٠٩٢)، هناك تدخّل من ناسخ للسيرة، والتاريخ الذى يذكره يقابل سنة ٩٤٩، وهو تاريخ مبهم:

«**وحدثنى انا الخاطى ابو البركات ابن زوين ناقل هذه السيرة من القلاية البطركية لنفسه ولولده ابو اليمن ابن بنوب** وهو يونيذ كاتب القلاية المذكورة في بطركية الاب القديس ابا يوحنا [؟ الخامس/٧٢: ١١٤٧-١١٦٧] البطرك **في سنة ست وستين وستماية للشهدا** عن ابنه بنوب وكان كاتب القلاية قديمًا عن ابا كيرلص البطرك [. . .]» («تاريخ»، ٢، ٢٠٨).

وبصدد الحديث عن كيرلُّس الثاني/٦ (١٠٧٨-١٠٩٢)، يذكر موهوب أنّه قابله مرّةً، وأعجب بعلمه، وأنّه قابل كذلك بطريرك الأرمن وتحاور معه:

«وكان بعض الاسقفة البحريين عند قسمة هذا الاب كيرلص يعتقدوا انه يكون مدبر برايهم ويكونوا مستحوذين على كل الامور لانه كان فى بداية امره قليل العلم مثل ديمتريوس الاب الاول بل كان كاهنًا جيد لانه كان قسًا فى اسكنا دير ابو مقار، فلما صار بطركًا لم يتم لهم ما ظنوه، ولازم قراة الكتب وتفسيرها **حتى انى دخلت اليه انا الخاطى فوجدت تفسير الاناجيل الاربعة بين يديه، فسالته عن كلام كثير من الاناجيل المقدسة** ففسره احسن تفسير ما لا تصل معرفة اكثر الاساقفة والكهنة اليه» («تاريخ»، ٢، ص٢١٣).

«فلما كان في ابيب سنة ثمان ماية وثلثة للشهدا [١٠٨٦] وصل من القسطنطينية الى الاسكندرية مركب فيه شاب له تجمّل واصحاب وغلمان قيل عنه انه بطرك الارمن واسمه اغريغوريس وانه ابن اخت بطركهم القديم وانه من بنى سنحاريب الملك وان خاله فوض اليه البطركية وانفذه الى ديار مصر واعطاه اعضا جليلة من اعضا القديسين وصلبان ذهب وغير ذلك، وكان قد وصل الى هذه الديار قبله راهب ارمنى قديس يعرف بالمناكيس ودخل الى برية ابو مقار واجتمع بسوس الراهب القديس وفرح بما رآه من قدسه، ثم وصل الى الاسكندرية **وجادلناه فى الدين فعرفنا صحة امانته الارتدكسية واستقامة ديانته المسيحية [. . .] ورايته يومًا [. . .] ورايته بعد ذلك عنده بالقاهرة [. . .]»** («تاريخ»، ٢، ص ٢١٩).

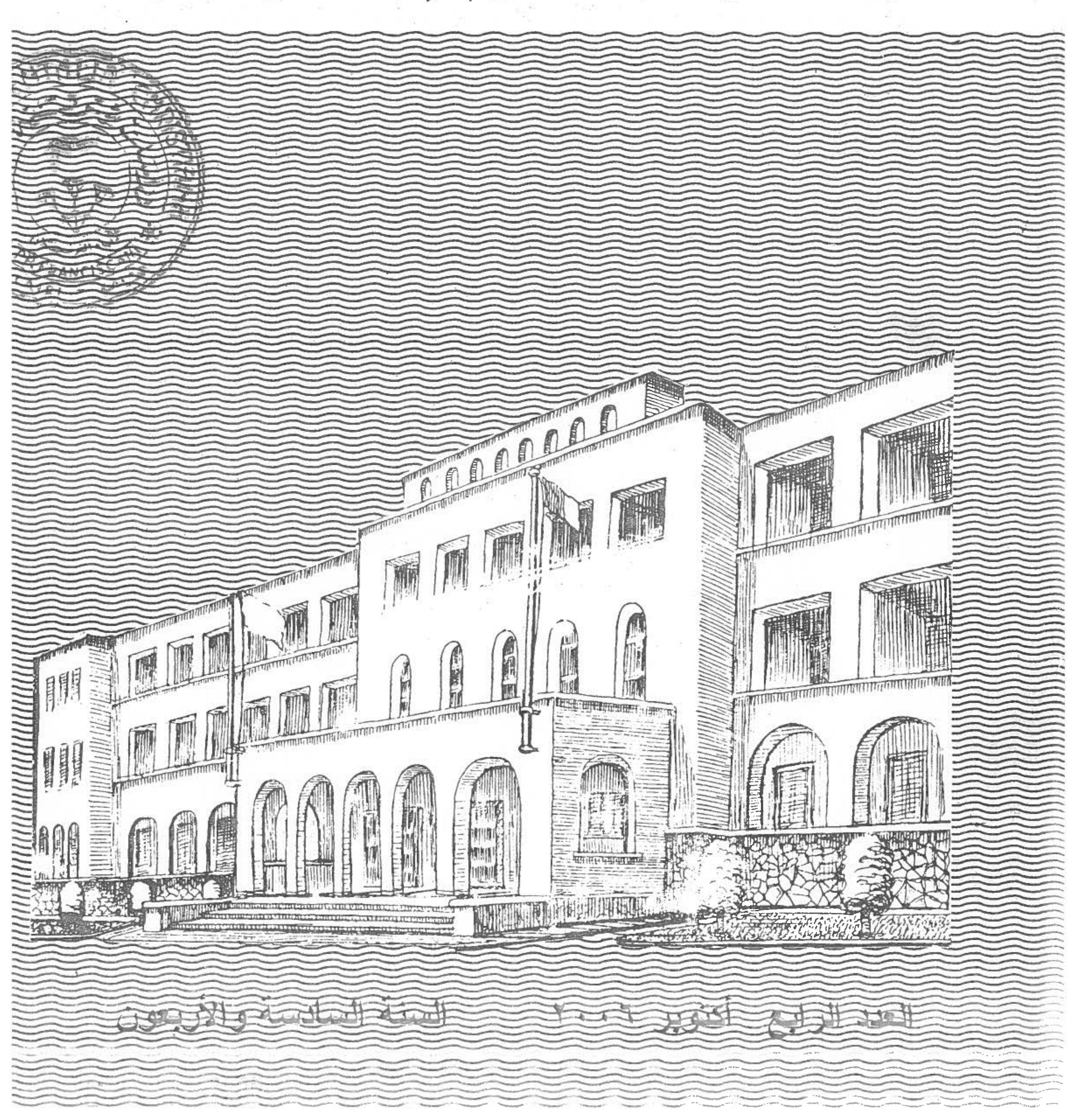
وبعد تدخّل طويل (ص ٢٢٩-٢٣٢) مِن يوحنّا بن صاعد بن القلزميّ (سنذكره بعد ذلك)، يعود النصّ إلى موهوب، بجملة هي مِن كتابة ابن القلزميّ:

«**قال واضع هذه السيرة [. . .]**» («تاريخ»، ٢، ص ٢٣٢).

للمقال بقية

صديق الكاهن

مجلة تصدرها كلية العلوم الإنسانية واللاهوتية



العدد الرابع أكتوبر ٢٠٠٦ السنة السادسة والأربعون

مؤلِّفو سير البيعة من «سير البيعة»
(٧)

تقديم الأخ وديع الفرنسيسكانيّ

١١) يوحنّا بن صاعد بن القلزميّ الكاتب ينسخ السير السابقة، ويتدخّل في نصّ حياة: خرِستوذولُس/٦٦ (١٠٤٧-١٠٧٧)، وكيرلُّس الثاني/٦٧ (١٠٧٨-١٠٩٢)، ويضع السيرة ٢٧: ميخائيل الرابع/٦٨ (١٠٩٢-١١٠٢)، ومقاره الثاني/٦٩ (١١٠٢-١١٢٨) = ٢٦ سنة، بطريركان

في مقدّمة عمله في نسخ السير (انظر أسفل)، يؤكّد يوحنّا بن صاعد بن القلزميّ أنّه وزّع السير على ثلاثة أجزاء، ولذا فإنّ نصّ بداية الجزء الثالث قد يكون له:

«نبتدى بعون اللّه وحسن توفيقه بنسخ الجزو الثالث من سير الابا البطاركة الاخيار الاطهار خلفا الاب البشير مارى مرقص الانجيلى صلواته وصلواتهم تحفظنا امين وهم بطاركة القبط بارض مصر المومنين الارتدكسيين الذين جاهدوا وصبروا على كل الم ومشقة ونصب وتعب من المناصبين والهراطقة واعدا البيعة، ولم يصدهم ذلك عن حب المسيح سيدهم والاعتراف الحسن والاقرار بالامانة المقدسة واقامة منار الدين، وثبتوا على الامانة المستقيمة التى ورثوها عن ابايهم القديسين الصايرة اليهم من الابا الحواريين تلاميذ السيد المسيح الذين راوا وشاهدوا وصنعوا العجايب كما كان سيدهم يصنع واعطاهم السلطان على ذلك وعلى مقاومة الملوك والسلاطين بتاييد الروح القدس الناطق على السنتهم كما وعدهم السيد المسيح له المجد الى الابد امين» («تاريخ»، ٢، ص ٦٩).

في أثناء نسخ السير (انظر أسفل)، تدخّل يوحنّا بن صاعد بن القلزميّ في سيرة خرِسْتوذولُس/٦٦ (١٠٣٧-١٠٧٧)، ويصلنا نصّ التدخّل عن طريق ناسخ آخر، وهو جرجه:

«قال يوحنا ابن صاعد ابن يحيى المعروف بابن القلزمى ناسخ هذه السيرة فى السيرة التى نسختها انا المسكين جرجه ابن مدكور من نسخة بخط المذكور انه مضى الى البيعة المذكورة فى يوم عيد القديس مارى بقطر بالجيزة واسقفها فى ذلك الوقت ابا حدفيه القديس الفاضل وحدثه جماعة من الشعب الذين حضروا فى ذلك اليوم بمثل ذلك من حلول النور على صورة السيدة الطاهرة المصورة فى شاق الهيكل وانه تامل الصورة فرآى الاصباغ التى عليها تقلعت واستعلم السبب فى ذلك فاعلمه بعض الكهنة انه لما حل عليها النور وفرغ القداس تزاحم الكهنة عليها بالشمع ليختموه على جسم الصورة ليكون معهم بركة فى بيوتهم فانقلعت الاصباغ فى الشمع التى طبع عليها» («تاريخ»، ٢، ص ١٨٧).

وتدخّل يوحنّا بنصّ طويل جدًا في حياة كيرلُّس الثاني/٦٧ (١٠٧٨-١٠٩٢)، بعد كلمات موهوب:

«وكان لا يفتر من قراة الكتب المقدسة وكان اكثر قراته فى تفسير الاناجيل المقدسة الاربعة بالقبطى حتى فهم منها شيًا كثير وتكلم فيه».

وتدخُّل يوحنّا يشهد بمعرفته للبطريرك، ويقدّم تعليمه حول المسيح، أو ما يمكن تسميته بكْرِستولوجيّا كيرلُّس الثاني. وسيُظْهِر يوحنّا، في حديثه عن البطريركين التاليين، اهتمامًا بالناحية العقائديّة:

«انا المسكين يوحنا ابن صاعد القلزمى ناسخ هذه السيرة اعرف حقيقة هذا الفصل، وذلك انى مضيت اليه فى كنيسة ميكاييل المختارة يوم الاحد لاتبارك منه واتقرب فيها فوجدته قد نزل من الجوسق وهو جالس فى الكنيسة فسلمت عليه واخذت بركته ففرح بى وبارك علىّ واكرمنى، وكان رزقنى الله بركة صلواته، وهو راهب قديس روحانى متواضع وديع زاهد جدًا باغض للقنية يصدق بجميع ما يحمل اليه من الكراسى على الضعفا ومنه

ما يصرفه فى عمارة الكنايس والديارات ومنه ما يصوغ به انية فضة رسم الهياكل المقدسة ومنه ما يعين به النصارى المصادرين ويفكّهم من العقوبة حتى انه لما تنيح لم يوجد له دينار، وكان افعاله كلها حسنة جميلة، وكان حلو المنطق مقبول الصورة صايم الدهر كثير الصلاة، لا ياكل مما يعمل فى قلايته لتلاميذه شيًا من الالوان الا لون واحد يقدم له فى زبدية. اما من الحبوب او من البقول يستعمل منه اليسير من العشا الى العشا، فجلست بين يديه وتحدثت معه الى ان اجتمعوا الكهنة فسالوه بمطانوات حتى قدس وتقربنا كلنا من يده الطاهرة وهو يدعوا لكلمن يتقدم الى القربان بالقبطى ويبارك عليهم، فلما صرح الشعب وخرجوا هممت بالخروج فخرج الى بطرس مقدم تلاميذه وقال لى ابونا يقول لك بمطانوة اجلس حتى اخرج من المذبح، فجلست الى ان خرج فقال لى بمطانوة اطلع عندى اتحدث معك اليوم وانس بك، فقلت السمع والطاعة، فطلعت معه الى الجوسق وابا افرهام كاتبه، وكان بعد الظهر وقدموا التلاميذ المايدة فاكلت انا وابا افرهام وجاو بالنبيذ فامتنعت من شربه لانه كان زمان الصيف وانا اكره استعماله فى الصيف، ثم جلست بين يديه لاتحدث معه فاعلمه انبا افرهام انى ما شربت شى فعتبنى على ذلك، فاعلمته انى اتاذى بشربه فى الصيف، فقال لى ثلثة اقداح ما تضرك، فقلت يا مولاى اذا كان من يدك المقدسة ما يضرنى بل ينفعنى غاية المنفعة، فاشار الى التلميذ فناوله قدح فبارك عليه وناولنى اياه فقمت وقبّلت يديه واخذته منه وشربته وكذلك الثانى والثالث، ثم اخذنا فى الحديث فى العلوم الشرعية وشرف مذهبنا وجلالته وحسن اوصافه وقوانينه وما فيه من فنون التواضع والتفضّل والمحبّة، وانساق حديثنا فيما هذا سبيله الى ان ذكرنا ما انعم اللّه تعالى وما ظهر من عظم محبته لجنس البشر [. . .] ففرحت بما سمعته منه وعرفت انه قد قرى الكتب الالهية وتفاسيرها وفهمها، وانما اوردت هذا فى هذه السيرة تصديقًا لما قاله واضعها عن الاب انبا كيرلص المذكور انه قرى التفاسير وفهمها وتكلم عنها» («تاريخ»، ٢، ص ٢٢٩-٢٣٢).

بعد نهاية حياة كيرلُس الثاني/٦٧ (١٠٧٨-١٠٩٢) وقبل البدء في السيرة السابعة والعشرين، نقرأ كلامًا ليوحنّا بن صاعد بن القلزميّ، نفهم منه أنّه قام بنسخ جميع السير السابقة (٢٦ سيرة)، وأنّه وزع السير على ثلاثة أجزاء، وأنّه وضع حياة البطريركين التاليين. ويجب مقارنة هذه المقدّمة بمقدّمة موهوب ومضاهاتهما على مختلف الطبعات لإبراز التوافق والاختلافات. وتُعتبَر مقدّمة يوحنّا بن القلزميّ في غاية الأهميّة، ونوردها هنا:

«باسمك يا رحمن ابتدى

قال يوحنا ابن صاعد بن يحيى ابن مينا المعروف بابن القلزمى الكاتب انى لما اكملت نسخ جميع ما وضعه الابا القديسين المتقدمين من سير البيعة المقدسة وهى ستة وعشرون سيرة وما جرى فيها للابا البطاركة بالاسكندرية وهم سبعة وستين بطركا اولهم مرقس الانجيلى واخرهم ابا كيرلص الثانى القديس الروحانى، وجعلت ذلك فى ثلثة اجزا، الجزو الاول سبعة عشر سيرة لستة واربعين بطرك اولهم مرقس الانجيلى واخرهم انبا خايال الاول [٧٤٤-٧٦٧]، والجزو الثانى خمسة سير اولها السيرة الثامنة عشر واخرها الثانية والعشرين واخبار تسعة بطاركة اولهم انبا مينا [الأول/ ٤٧: ٧٦٧-٧٧٤] واخرهم اثناسيوس [خطأ صحتّه: سانوتيوس الأول/٥٥: ٨٥٨-٨٨٠]، والجزء الثالث الذى فيه هذه الكراسة من جملة اثنى وعشرين كراس وما قبلها الى اخر الكراريس اربعة سير واخبار اثنى عشر بطركًا اولهم خايال الثالث [/٥٦: ٨٨٠-٩٠٧] واخرهم ابا كيرلص الثانى [٦٧: ١٠٧٨-١٠٩٢] القديس الروحانى البطرك وهو تمام سبعة وستين بطركًا **منهم من رايته وسمعت كلامه وحضرت قداساته وتحدثت معه بطركين وهم انبا اخرسطودلوس وانبا كيرلص نيح اللّه نفوسهما ورزقنى بركة صلواتهما، شكرت اللّه تعالى على ما انعم به علىّ من وجود هذه السير ومعونته لى جل اسمه على نسخها بكمالها، ووجب علىّ ان اكتب واشرح سير من رايته بعد انبا كيرلص البطرك نيح اللّه نفسه الطاهرة الى حين كتب هذا المسطور وهو انبا مقاره [الثاني/٩٦: ١٠١١-٢١١-٨]،**

والتجيت الى رحمته تعالى ومعونته وتوفيقه كما الفت من احسانه وجعلتها على مقتضى السير التى قبلها ومن اللّه نستمد المعونة» («تاريخ»، ٢، ص ٢٣٢-٢٣٣).

ولا يتدخّل يوحنّا في حياة ميخائيل الرابع/٦٨ (١٠٩٢-١١٠٢)، أو يتحدّث بصيغة المتكلّم، إلاّ في نهاية الحياة، عندما يشير إلى بدء الحملات الصليبيّة، وأثرها على الحجّ إلى الأماكن المقدّسة، وهو يتحدّث بضمير المتكلّم الجمع:

«وفى ايام انبا ميخاييل البطرك المذكور وصلت عساكر الروم والفرنج من رومية ومن بلاد افرنجية الى الشام فى خلق كثير وملكوا انطاكية وما يليها واكثر الشام الفوقانى وكان يوميذ بايدى الغز الخرسانيين ولم يبق منه بايدى الغز الا دمشق وما يليها ثم ملكوا مدينة القدس الشريف وما يليها فى شهر رمضان سنة اثنين وتسعين واربع ماية الهلالية [١٠٩٨] **وصرنا معشر النصارى اليعاقبة القبط لا نصل الى الحج اليها ولا نتمكن من الدنو من ذلك لاجل ما هو من بغضهم لنا وهو اعتقادهم فينا وتكفيرهم ايانا** وملكوا بعد ذلك جميع الحصون الشامية ما خلا صور وعسقلان فان هذين الحصنين باقيين فى ايدى الولاة على ان السيد الاجل الافضل، وقد حاصروهم عدة دفعات وخرج السيد الاجل الافضل اليهم وجاهد وبالغ وانفق المال ولم تندفع احكام اللّه **وهو جل اسمه يكفينا ويحمينا برحمته»** («تاريخ»، ٢، ص ٢٤٩).

في حياة مقاره الثاني/٦٩ (١١٠٢-١١٢٨)، في السيرة السابعة والعشرين، يتدخّل يوحنّا عدّة مرّات، ويتحدّث بضمير المتكلّم المفرد، ولاسيمّا في قضيّة انتخاب خليفة للأنبا سنهوت على كرسي مصر، ويدلّ تدخّل يوحنّا على أنّه كان صاحب نفوذ، ولعلّه كان كبير أراخنة مدينة مصر، بسبب كونه كاتبًا. ويورد المؤرّخ معلومة هامّة في رسامة البطريرك، وهي «وقرى تقليده على الانبل يونانى وقبطى وعربى» («تاريخ»، ٣، ص ٤). وفي عهد هذا البطريرك هُدمَت كنيسة ميخائيل المختارة بالروضة «**وبقيت مهدومة الى حيث نظمت** هذه السيرة» («تاريخ»، ٣، ص ٧).

في سنة ٨٣٣ش، أيْ ١١١٧، توفّي الأنبا سنهوت أسقف مصر، فكتب يوحنّا رسالة إلى البطريرك مصدّرَة بالبسملة الإسلاميّة:

«وكان الاب القديس ابا مقاره البطرك غايب فى قلايته التى فى ازرى بجزيرة بنى نصر **فكتبت اليه انا الخاطى يوحنا ابن صاعد كاتب هذه السيرة كتاب اعزيه فيه** هذه نسخته بسم اللّه الرحمن الرحيم...» («تاريخ»، ٣، ص ٧).

فجاء ردّ البطريرك مصدّرًا بذات البسملة الإسلاميّة (انظر «تاريخ»، ٣، ص٩).

فكتب يوحنّا خطابًا آخر للبطريرك، باسم شعب مدينة مصر:

«**ولما وصلنى الجواب المذكور عن كتابى الصادر عنى خاصة اصدرت اليه كتابا اخر عنى وعن جميع الشعب** هذه نسخته بسم اللّه الرحمن الرحيم [. . .]» («تاريخ»، ٣، ١٠).

«**واوقفت الجماعة من الكهنة وبعض الشعب على هذا الكتاب فاستصوبوه** واتفقت كلمتهم على الرضا به وتسييره الى الاب القديس ابا مقاره البطرك وكتبوا عنوانه تلاميذها جماعة النصارى اليعاقبة المصريين وسيرته اليه مع رسول قاصد فعاد الجواب بما هذه نسخته وصل كتاب الاولاد [. . .]» («تاريخ»، ٣، ص ١٢-١٣).

ويعلّق يوحنّا على ردّ البطريرك هذا:

«**فلما وصل هذا الجواب وقريناه وجدناه جواب من هو محرج وكتابا لا يقتضى ان يكون هذا جوابه وكشفنا عن السبب فيه فعرفنا ان الاب البطرك لا يشتهى ان يجعل فى كرسى مصر اسقف وانه قد قام فى نفسه ان يكون هو الحاكم فيه اذا حضر واذا غاب استناب عنه نايب فلم يرضينا ذلك وقلقنا منه وقلنا كما انه لا يجوز ان يكون لنصرانى زوجتين كذلك لا يجوز**

ان يكون لاسقف كرسيين وهذا الاب انبا مقاره البطرك هو اسقف مدينة الاسكندرية فكيف يمكن ان يكون له اسقفية مصر فاستقر الراى على تعجيل الاهتمام بمن نتخيره للاسقفية [. . .]» («تاريخ»، ٣، ص ١٥).

ويصف يوحنّا عمليّة انتخاب الأسقف الجديد ودوره في التحقّق من إيمانه، ممّا يدلّ على دوره الحاسم في تحديد اسم المنتخَب:

«[. . .] وكتبت اسما هولآء الاربعة فى اربع رقاع بخطى وشمعتهم وجعلتهم على الهيكل وقدسنا عليه ولما فرغ القداس وتقرب الشعب تقدم صبى من الشمامسة اخذ من الرقاع واحدة بحيث ينظرها الشعب جميعه واذا فيها اسم يونس ابن سنهوت فرضى الجميع بذلك وكتبوا به مسطور وكتبوا فيه الاراخنة والكهنة وكبار الشعب خطوطهم بالرضى به وامتنعت انا الخاطى ان اكتب خطى فيه وقلت اذا حضر الرجل ورايته وتحدث معه وعلمت انه مستقيم الامانه حينيذ اكتب خطى بالرضا به فلما كملت خطوط الكهنة والشعب المصريين والقاهريين فى المحضر اصدرته الى الاب انبا مقاره البطرك طى كتاب عن الجماعة اليه نسخته وصل كتاب [. . .]» («تاريخ»، ٣، ص ١٦).

بعد ذلك يورد يوحنّا ردّ البطريرك:

«فوصل الجواب بما نسخته وصلت مكاتبة الاخوة [. . .]» («تاريخ»، ٣، ص ١٨).

وقد وُفِّق يوحنّا في عملية انتخاب الأسقف الجديد:

«ولما وصل الكتاب من الاب مقاره البطرك ووقفنا عليه اجتمعنا ومضينا الى بطرك الارمن [. . .] وسالناه فى مساعدته لنا فى احضار يونس الراهب ابن سنهوت المقدم ذكره [. . .] وحدثنى الشيخ ابو الفضل المقدم ذكره لما حضر ليفتقدنى انه ما دفع لتلاميذ البطرك ولا لكاتبه درهما واحدا لا عن رسم ولا عن غيره ولا جسروا يطلبوا منه شيًا خوفا من الاراخنة [. . .]» («تاريخ»، ٣، ص ٢١-٢٢).

وتنتهى حياة مقاره الثاني بكلمات لعلها لناسخ الكتاب بعد يوحنّا بن صاعد بن القلزميّ:

«اسال اللّه جلت قدرته وتعالى ذكره ان يرزقك ايها الاب الراهب ابن يوحنا النفيس الشماس الابصلمدى النعمة والامن والكفاية بشفاعة السيده البتول الطاهرة مرتمريم والدة الخلاص وكافة الشهدا والقديسين».

بعد السيرة السابعة والعشرين يتوقّف ترقيم السير، وترد حياة كلّ بطريرك مستقلّة.

١٢) مقدّمات «سير البيعة» وسويرُس بن المقفّع

لحياة ٤٦ بطريركًا هناك ثلاث طبعات: طبعة سيبولد/هـ، وطبعة سيبولد/ك، وطبعة إڤِتْس (طبعتا الأنبا صموئيل لا يُعْتَدّ بهما لكونهما منقولتين عن طبعة إڤِتْس). وتعتمد الطبعة الأولى على أقدم مخطوط من سنة ١٢٦٦، ويعتقد يوهنيس دن هير، أنّ نصّ المخطوط يورد السير كما خرجت من يد موهوب بن منصور بن مفرّج. وتحوي الطبعات مجموعة من المقدّمات رقّمها إڤِتْس، في الترجمة الإنجليزيّة، أربعة أرقام، بينما سيبولد/ك يوردها متواصلة.

في المقدّمة الأولى (إڤِتْس، ١، ص ١٠٥-١٠٧؛ سيبولد/ك، ص ١)، نقرأ هذه الكلمات:

«هذه السير جمعها واهتم بها من كل مكان الاب الجليل **انبا سويرس بن المقفع اسقف مدينة الاشمونين** ذكر انه جمعها من دير القديس ابى مقار ودير نهيا وغيرهما من الديارات وما وجده فى ايدى النصارى منها اجزاء متفرقة فلما جمعها اخوكم المسكين فى هذا الكتاب الواحد بعد بحث واجتهاد وهب الرب له مدة طويلة من العمر حتى وصل يوم ان كتب هذه السيرة واهتم بها ولم تكمل له الى كمال ثمنين سنة من عمره والى اللّه ارغب الاعانة علىٰ فهم ما نقرأ منها والطاعة لهم والعمل باوامرهم واتباع اثارهم والتمسك بايمانهم انه سميع مجيب والشكر للّه دائمًا سرمدًا امين» (إڤِتْس، ١، ص ١٠٦-١٠٧؛ قابل سيبولد/ك، ص ١).

ولا نجد المقدّمة الأولى في طبعة سيبولد/هـ، التي تعتمد على أقدم مخطوط، وهو من سنة ١٢٦٦، ولذا قد تكون هذه المقدّمة قد أضيفت إلى السير بعد هذا التاريخ، ولكن على كلّ حال ليست المقدّمة لموهوب بن منصور بن مفرِّج، بل هي تنقل كلمات موهوب مع نسبتها إلى سويروس. مَن الذي نسب جمع السير إلى سويروس؟ ليس هو بالطبع موهوب الذي ينسب العمل إلى نفسه. هل هو يوحنّا بن صاعد بن القلزميّ؟ ولماذا؟ وكان يعرف عمل موهوب لأنّه معاصر له. إنّي أميل إلى التفكير في ناسخ جاهل.

المقدّمة الثانية (إفِتْس، ١، ص ١٠٧-١١٤؛ سيبولد/ك، ص ٢-٥؛ سيبولد/هـ، ص ١: البداية والنهاية، والباقي ناقص) لا تشير إلى مؤلِّف أو جامع لسير البيعة.

في المقدّمة الثالثة، نقرأ:

«قال المصنف لهذه السيرة سويرس ابن المقفع الجامع» (إفِتْس، ١، ص ١١٤؛ قابل سيبولد/ك، ص ٥).

لا نجد هذه الجملة في النصّ المقابل المنشور على أقدم مخطوط (سيبولد/هـ، ص ١) ممّا يدلّ على إنّها مضافة ومقحمة على النصّ من ناسخ متأخّر.

ونتابع النصّ، حسب أقدم مخطوط:

«لما علمتُ انا البايس المذنب الخاطى الغارق فى بحار آثامه. المفنى بالخطايا والذنوب ايامه. النادم المتأسّف علي تفريطه. وتعبير اعوامه في الامل والتسويف المفسدَيْن لدينه وقوامه. وتحقّقتُ ما انعم السيد المسيح المخلص لذكره السجود. علي جميع بنى المعمودية المشترايين بدمه. ومُعطى سلطانه وموهبته وروح قدسه لاربابه واتباعه من الاثني عشر المصطفين والاثني وسبعين المنتخبين. ومن يتبعهم. مثل بولص المنتخب مودّب اهل البيعة. المستخلص بدعوته لما علم موضع غيرته ومن اصطفاه لكرسى شهيده وتلميذه وانجيليِّه ورسوله. واول بطاركته الناظر وجه الاب مارى مرقص.

بعده من الابا البطاركة واردت معرفة سيرهم وتقلُّبهم وما لقوا من التعب والنصب والجهاد وقت بعد وقت وزمان بعد زمان. وانا ممن لا يجب له ان يكتب بخط يده البايسة شياً من اخبارهم المقدسة. فاستعنت بمن اعلم استحقاقه من الاخوة المسيحيين. وسألتهم مساعدتي علي نقل ما وجدناه منها بالقلم القبطى واليوناني. وابتهلت الي واهب المنطق لكل عيّ. ومفوّه كل بليد وداعى التقيلى الاوزار مثلى كالكلام الانجيلى القايل من فمه القدوس. تعالوا اليَّ ايها الحاملى الاثقال لاريحكم. وتعلموا مني لاني ساكن متواضع القلب لتجدوا راحة لانفسكم واحملوا نيرى عليكم لان نيري خفيف ومحملي طيِّب. ان يسامحنى بزللى وإقدامى على ما لا يضاهي (يطاهى) افعالى الذميمة واثامى وخطاياى العميمه. واستنسخت ما لم اعلمه من الاوايل حسب ما تضمنته اسطريات البيعة. على ما ياتي به الشرح والإخبار. ونادت به الاحاديث والأخبار. واضفت الي ذلك ما عرفته من سير من شاهدته من الابا البطاركة وسألته جَلَّت آلاؤه ان يغفر زللي وما فيه من زياده لفظ وتحسين كلام وما نسبته الي نفسي الخاطية من تسطير خبر من لا استحق ان اكون اقل تلاميذه واشرحه من فضايل آبا ورهبان قديسين مويدين بنعمة روح القدس بالمشاهدة ونقل الاخبار. وانا اضع مطانوات لمن قرى ما كتبته ان يستغفر لى فيما اقدم عليه ونسبت نفسي اليه ويدعو لى ولوالدى وولدي بالعفو والمسامحة والغفران بشفاعة سيدة الاولين والاخرين المختاره كرسي رب العالمين والملايكة المقربين والطغمات الروحانيين والانبيا المويدين والرسل الاطهار المنتخبين والشهدا المجاهدين والابا القديسين والابرار والسواح المتقشفين وكلمن ارضاه بعمله من درية ادم امين. اللهم انى اسلك ان تفتح عيني قلبى لاسمع كلامك وافهم واعمل بما تنعم عليَّ بان لا تواخذني عليه وتسامحني وتغفر لى هفوة انبساطي اليه واجسر قايلا واتقا بعفو اللّه» (سيبولد/هـ، ص ٢؛ قابل إڤتس، ١، ص ١١٤-١١٧؛ سيبولد/ك، ص٥-٦).

لكي نعرف مؤلِّف الكلمات السابقة، نقول إنّ المؤلِّف يجب أن يكون قد وضع سير البطاركة الذين عاصرهم («**واضفت الى ذلك ما عرفته من سير من شاهدته من الابا البطاركة**»). هذه الكلمات لا تنطبق على سويرُس بن المقفّع؛ لأنّ مَن كتب سير البطاركة المعاصرين له هو الأنبا ميخائيل أسقف تِنيس (انظر فوق رقم ٩). فضلاً عن ذلك يطلب مؤلِّف هذا الكلام المغفرة له ولوالده وولده. وبالتالي يجب أن يكون مؤلِّف الكلمات صاحب زوجة وولد. ولا ينطبق هذا على سويرُس. إذَنْ ليس هو صاحب هذه المقدّمة. ولكي يطبّق ناسخ المقدّمة في طبعتَي إِفِتْس وسيبولد/ك الكلام على سويرُس اسقط من النصّ كلمات «لي ولوالدي وولدي». لمن المقدّمة إذن؟ إنّها لشخص كتب سير البطاركة المعاصرين له، وكان له زوجة وولد. وهذا قد ينطبق على موهوب بن منصور بن مفرِّج.

وفي الواقع «سير البيعة»، عندما يتحدّث عن سويرُس («تاريخ» ٢، ص ٩٢-٩٣، ١٠٩-١١٠) لا ينسب إليه لا عملية جمع السير، ولا الإشراف على الترجمة، ولا وضع سير بطاركة سابقين أو معاصرين. وكذلك الذين نسبوا إلى سويرُس عملية جمع السير، مثل كامل صالح نخلة وجيورج جراف وغيرهما، لا يحدّدوا سيرًا بعينها وضعها سويرُس.

وفي نهاية المقدّمة الرابعة نقرأ هذه الكلمات:

«نبتدي بعون اللّه تعالي بكتب سير البيعه المقدسه للابا البطاركه الدي للاسكندريه. ما جمعنه انا المدنب الخاطى الغارق في بحار آتامه. من برية ابو مقار وديارات الصعيد وتولي نقل بعضه الشماس الدين ميخاييل بن بُدَير من اللغة القبطيه الى العربيه مما ياتي دكره فى موضعه سوي ما كان بالمدينة العظما الاسكندريه مما وجد منها مختصرا. فأول ما نقل من دير السيده بنهيا عن سبب كهنوة السيد المسيح ودخوله الهيكل بسلام اللّه امين» (سيبولد/هـ، ص ٣-٤).

«نبتدئ بعون اللّه وحسن توفيقه بكتب سير البيعة المقدسة قال المصنف فيما صنفته انا الخاطئ جمعته من دير القديس ابى مقار وديارات الصعيد وتولى نقل بعضه الشماس الديّن ميخاييل بن بدير من لغة القبطى الى العربى مما يأتى ذكره فى موضعه سوى ما كان فى المدينة العظمى وما وجد منها مختصرًا من سير الاول منها المسيح عونى ورجاءى وناصرى وخلاصى فاول ذلك ما نقل بدير السيدة بنهيا عن سبب كهنوت المسيح السيد جل اسمه ودخوله الى الهيكل بسلام اللّه امين امين امين» (إفِتْس، ١، ص ١٢٠؛ قابل سيبولد/ك، ص ٨).

تتشابه هذه الكلمات مع مقدّمة موهوب بن منصور بن مفرِّج الوادة في نهاية حياة شنوده الثاني/٦٥ (١٠٣٢-١٠٤٦)، وبداية السيرة السادسة والعشرين، وأولها حياة خرِسْتوذولوس/٦٦ (١٠٤٧-١٠٧٧) (انظر «تاريخ»، ٢، ص ١٥٩-١٦١)، ممّا يسمح بالتأكيد أنّ المقدّمة لموهوب ولاسيمّا في الصياغة القديمة (سيبولد/هـ).

١٣) استخلاص

بعد كلّ هذا نخلص إلى القول بأنّ اسم سويرُس أقحِم على نصّ المقدّمات مِن ناسخ متأخر، وغيّر في النصّ؛ لكي ينطبق على سويرُس. ولم يكن سويرُس في حاجة إلى هذه النسبة؛ لأنّ له مِن المؤلّفات ما يضمن له الخلود في عالم الإنتاج الأدبيّ.

إنّ ورود اسم سويرُس في المقدّمات دفع الدارسين، حتّى ظهور مقالة جونسون ودراسة يوهنّيس دن هير، إلى نسبة «سير البيعة» تحت عنوان «تاريخ البطاركة» إلى سويرُس بن المقفّع. وقد ألجأ هذا البعض (كامل ص.ن. وغيره) إلى دمج شخصيّتَي ميخائيل الدمراويّ أسقف تِنّيس والشمّاس أبي حبيب بن بدير الدمنهوريّ في شخصيّة واحدة؛ وذلك لجعل ميخائيل

معاصرًا لسويرُس بن المقفّع، مع مدّ حياة سويرُس نفسه. والغريب عند كامل صالح نخله أنّه مع توحيد شخصيتَي ميخائيل الشمّاس وميخائيل الأسقف، يفصل بين شخصيّة ميخائيل الشمّاس وشخصيّة ميخائيل أبي حبيب.

ونحن (وغيرنا ممّن يحترم معطيات التاريخ)، بحطّ سويرُس عن عرش «سير البيعة»، لا نقلّل لا من شأن سويرُس أو مِن ذات نصّ «سير البيعة»؛ بل على العكس، فبعد إعادة الحقوق إلى أصحابها، نسبغ قيمة أكبر على «سير البيعة»؛ إذ نرى فيها نصّ شاهد عيان للأحداث، وكاتبًا معاصرًا لها. والقول إنّ موهوب هو جامع السير والمشرف على ترجمتها مع الشمّاس ميخائيل أبي حبيب الدمنهوريّ، لا يعنى أن تُنسَب السير إليه، فليس هو محرِّر النصوص، بمعنى إنّه استخدم مصادر لصياغة تاريخ منها. لا موهوب ولا معاونوه في الترجمة (وليس بينهم شخص باسم بقيرة) قاموا بإعادة صياغة للنصّ. إنّ عملهم يشبه عمل المحقِّق والمترجم للنصوص. وهذا عمل يختلف عن عمل التحرير وإعادة كتابة التاريخ، بالاستناد على المصادر. خلاصة كلّ هذا الكلام: ضرورة نسبة كلّ سيرة إلى مؤلِّفها، مع ذِكْر المترجِم، إذا وُجِد، فـ«سير البيعة» أو «تاريخ البطاركة» ليس، في كثير أو قليل، لسويرُس بن المقفّع، وليس كلّه، بل القليل منه (حياة بطريركين فقط) هو لموهوب، أمّا باقيه فهو لمؤلّفين عديدين، هم: اوزِبيوس القيسرانيّ (القرن الرابع؛ كمصدر لا كمحرِّر)، ومينا الكاتب (القرن الخامس)، وجرجه (أو مركه؛ القرن السابع)، ويوحنّيس تلميذ الأنبا مويسيس (القرن الثامن، ويوحنّا تلميذ الأنبا شنوده الأوّل (القرن التاسع)، وميخائيل أسقف تِنِّيس (منتصف القرن الحادي عشر)، وموهوب بن منصور بن مفرِّج (أواخر القرن الحادي

عشر)، ويوحنّا بن صاعد بن القلزميّ (القرن الثاني عشر)، وما تلاهم من مؤرّخين تابعوا مسيرة التأريخ. أمّا أهم المترجمين فهو الشمّاس أبو حبيب ميخائيل بن بدير الدمنهوريّ المعاصر لموهوب بن منصور بن مفرّج.

إنّ «سير البيعة» عبارة عن مجموع تاريخيّ (مثل كتاب «اعتراف الآباء»، والمجموعة القانونيّة لمقارة الراهب) ليس لها مؤلّف واحد ولا محرّر واحد، ولكن لها جامع احترم هو، ومن بعده النسّاخ، أسلوب كلّ نصّ، كما خرج من يراع مؤلّفه. وهذا في حدّ ذاته مكسب تاريخيّ كبير، وأفضل بكثير من الاعتقاد بوجود مؤلّف واحد، أو محرّر واحد، سواء أكان سويرُس بن المقفّع أو موهوب بن منصور بن مفرّج أو غيرهما.

جرى مراجعة النصّ حتّى يوم الاثنين، ١٩ مارس ٢٠٠١، عيد القدّيس يوسف.